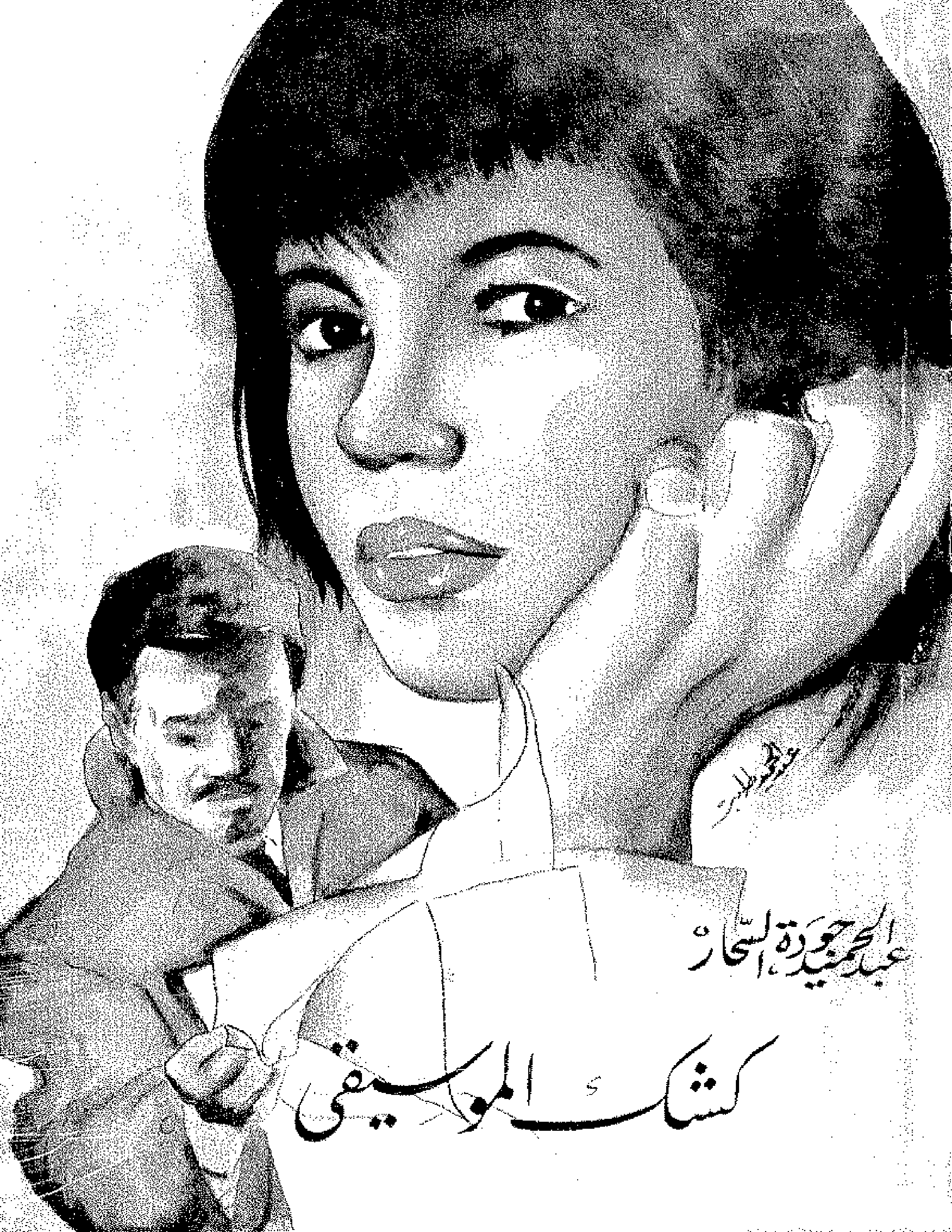


عبد الحميد جودة السحار
كشك الموسيقى

مطبوعات مكتبة مصر

كشك الموسيقى

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر:

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه



كان الرجل ينظر الى المروج الخضر من نافذة قطار الشرق وهو شارد ، كان غارقا فى تفكير عميق . انه منذ يومين وهو منطلق الى الغرب لا يشغل راسه الا موضوع واحد .. موضوع الأسلحة التى سيعرضها على وزير الحربية فى الامبراطورية التى يقصدها . انه يتعجل الزمن فالقطار يقطع المسافة بين مقر شركته والبلد الذى يقصده فى ثلاثة أيام ، فما كان الطيران قد عرفت بعد .

انه لم ير الوزير بعد ، ولكن شركته قدمت اليه صورته وبعض معلومات طفيفة لا تخدم من يتقدم على صفقة كبيرة قد ترفع شركته الى مصاف الشركات الكبرى ، بل وتجعلها أكبر شركة تعمل فى توريد أسلحة الدمار .

ان الشركة نجحت فى أن تحصل على سر خطير .. سر تأهب الامبراطورية للهجوم على الدول المحيطة بها ، وقد نجحت فى أن تتصل بوزير الحربية وان تحدد ميعادا لاستقبال مندوبها للتفاوض على اتمام صفقة كبيرة تحقق أهداف الامبراطورية وأهداف الشركة وأهداف الجميع .

وطفت على سطح ذهنه أحداث ذلك الاجتماع السرى الذى

ويترك القصة على المكتب ونهض مستأذنا وانصرف ، وما أن عاد الى غرفته بالفندق حتى تملكه خوف شديد .. انه تسرع بتقديم القصة .. ترى ماذا يكون مآله اذا رفض صاحب السعادة الرشوة وثار لكرامته واصدر امرا بالقبض عليه ؟ سيلقى به فى السجن وسيحاكم بتهمة رشوة موظف عمومى ، موظف عمومى ؟ ! انها رشوة وزير واى وزير ؟ وزير الحربية ؟ !

وتضخمت مخاوفه فالفى نفسه يسير بين جنديين ومن خلفه جندى مدججين بالسلاح . انه راى هؤلاء الجنود الغلاظ فى ممرات الوزاره وهو فى طريقه الى مكتب صاحب السعادة . وقفز خياله الى بيته .. انه ترك ابنته وخطيبها على امل ان يكون الزفاف بعد عودته . ترى أيفسخ الشاب خطبته من ابنته اذا ما بلغه انه قد قبض عليه وسجن ؟ انه سفسخها من غير شك ليدرأ عن نفسه فضيحة زواجة من ابنة سجين . ولكن الشاب يحبها .. يحبها حقا ، انه لن يفسخ خطبته .. لا .. بل سيفسخها فالحب وحده لا يقيم أسرة ، والسنة الناس قادرة على تقويض اى بيت يهب عليه أعصار الريبة . الريبة ؟ انها ليست ريبة .. انه اليقين .

وزوجتى ؟ يا للمسكينة ! كيف ستعيش بين الناس بعد الفضيحة ؟ سينبذها المجتمع .. سيفر منها الناس لانها زوجة سجين . انا وحدى الذى أخطأت . الناس كلهم خطاءون . ذنبى أن خطئى كشف عنه الغطاء .. اما اخطاؤهم فلا تزال مستورة ، والويل لمن يفتضح أمره بين الخطائين .

وأرتمى على السرير وهو يصيح فى حنق :

ـ قساة .. قساة .. غلاظ القلوب .

و مدد ملابسه على الفراش وحاول أن يطرد عن راسه تلك

أفكار السود ، ولكن الخواطر راحت تتوافد على ذهنه نوافذ الموج . انه راح يذكر في شركته بعد أن افتضح أمره .. ان مجلس الادارة الذي اجتمع قبل سمره وفوضه في فعل كل شيء وأي شيء ليحصل على الصفقة قد اجتمع وقرر فصله وأرسل كتابا الى سعادة الوزير يعتذر فيه عما ارتكبه مندوبها من حماقة وتهور ، ويبدي شديد أسفه على الفعلة الشنعاء التي نال مرتكبها ما يستحقه من عقاب .

وهب من رقدته مذعورا وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهوبا وهو يترقب ، يلتفت بين لحظة وأخرى ناحية الباب . انهم سيقدمون ليلقوا القبض عليه . ماذا ينتظر ؟ لماذا لا يحمل حقائبه ويفر . ولكن ابن المفر ؟ وهو الآن ولا ريب تحت الحراسة .

وضع في جوقة ضجيج سرى فيه مسرى السم : متهور .. مندفع .

انها همسات مرعوسه الحاقد الذي يطمع في مركزه .. انها وخزاته التي يخزها في خبث ودناءة ، فيا لفرحته يوم يأتي نبأ القبض عليه . سيقول في زهو وشماتة : الم اقل لكم ؟ الم احذركم ؟ كنت أكثر منكم فراسة . لو أطعتموني لدراتم عن الشركة الفضيحة القاتلة . انني أرجح منه عقلا وأكثر منه حنكة ، فلو كنتم أرسلتموني لاتمام تلك الصفقة ، لما انهارت أسهم الشركة ولما أشرفت على الافلاس .

ان مرعوسه يتمنى أن يزاح من طريقه .. إنه يذكر تلك الأيام القاسية التي دهمه فيها المرض . كان مرعوسه يأتي كل يوم ليطمئن الى انه لن يشفى من مرضه ولن يعود الى عمله .. من حق كل انسان أن يتمنى لنفسه ما يشاء من الأماني ولكن ليس على جثث الآخرين ونكباتهم .

وجاءت منه التفاتة الى صورته فى مرآة الغرفة ، فراعه ذلك الشحوب الذى أعتراه . انه يكاد أن ينقض من الاعياء .. الغرفة تدور به .. انه يستشعر أختناقا .. ليت الباب يفتح ويلقون القبض عليه ليستريح من قسوة الترقب والانتظار . ولم يستطع أن يظل منتصبا على قدميه فارتمى على الفراش يشـــهق فى قوة ، ويزفر الهواء وهو يرجو لو أن متاعبه تخرج مع زفيره .

وولج الليل فى النهار فساد الغرفة ظلام ، فهب مفزوعا يضىء الانوار لا ليفر من الظلمات بل ليهرب من نفســه . وعاد الى الفراش وصوب عينيه الى السقف ولم يكن يرى شيئا ، فالأحداث التى كانت فى خاطره كانت أوضح من كل ما يراه .

ودقت ساعة الفندق معلنة انتصاف الليل وهو يتقلب كأنما يتقلب على جمر لم يغمض له عين ، وراح الوقت يمر بطيئا ثقيلا . وبعد مدة كأنها دهر دقت الساعة الواحدة فأسدل جفنيه على مقلتيه لعل النوم يطوف به ولكن هيهات .

ان الصور تتداخل فى رأسه .. صورة ابنته وخطيبها . ثم صورته وهو يسير بين جنديين شديدين وخلفه جندى ثالث وهم شاهرو أسلحتهم ، ثم صورة مجلس الادارة ، وصورة زوجته . ثم صورة مرءوسه الحاقد وهو ينفث سمومه فى كل مكان .

ودقت الساعة معلنة الثانية صباحا فقام يطل من النافذة لعل الهواء البارد يطرد ما فى رأسه من أشباح ، أو لعـله يتجمد من البرد ويستريح . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث فعاد وارتمى يائسا فى الفراش

ونال منه الاعياء فراح الوسن يداعب جفنيه ، وسمع الساعة

تدق الثالثة فى صوت خافت كأنما يأتى من أعماق سحيقة وما لبث أن راح فى سبات .

وهب من نومه مذعورا على صوت طرقات على الباب ، وفى مثل لمح البصر تذكر كل شيء .. انهم يأتون ليقبضوا عليه . وسار الى الباب يترنح فلما فتحه وجد جنديا يقول فى لهجة آمرة :

ـــ صاحب السعادة الوزير يطلبك الساعة .

واخذ يجمع شتات نفسه ويقوى عزيمته . انه قد انتهى فليس من الحكمة أن يبدو جبانا . وارتدى ثيابه وجعل يبالغ فى تأنقه ، ثم سار وفتح الباب وانطلق ثابت الخطو يحاول أن يبدو هادئا وان كانت روحه تكاد أن تفر بين جنبيه رعبا .

وقاده الجندى الى مكتب صاحب السعادة . فما أن ولج الباب حتى ألفى الوزير متطلق الوجه وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وهو يتقدم ليقابله فى منتصف الغرفة وقد مد له يده ليصافحه فى ود وترحيب .

اين مقابلة اليوم من مقابلة الامس ؟ وفى لحظة مات كل خوف واشرقت النفس بالامل .

وجلس الرجل فى مقعد وثير وجلس صاحب السعادة أمامه وهو يرحب به ترحيبا حارا ثم قال :

ـــ كانت القصة ممتعة .. انها من اروع القصص التى قرأتها فى حياتى ..

وقال الرجل فى فرح :

ـــ كنت على ثقة من أنها ستروق سعادتك .

وتململ صاحب السعادة فى كرسيه وقال :

ـــ ولكن للأسف ..

فقال الرجل فى خوف :

ـــ ماذا يا صاحب السعادة ؟

ـــ لم تكتمل متعتى .

ـــ لماذا يا صاحب السعادة ؟

ـــ ان هذه القصة من ثلاثة اجزاء ،ولم تعطنى الا الجزء الاول منها ، فلما أتممت قراءته ازددت شوقا الى الجزاين الآخرين ، حقا ان كل جزء منهما فى ألف صفحة ولكنى ألتهم مثل هذه القصص التهاما .

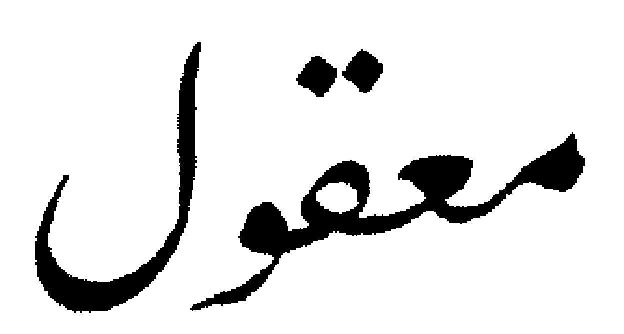
ـــ ليسمح لى صاحب السعادة أن آتيه الليلة بالجزاين الآخرين ؟

فقال صاحب السعادة فى بساطة وود :

ـــ انى ادعوك على الغداء يا صديقى ولتأت بالجزاين معك لانى أحب القراءة بعد الغداء .

ونهض الرجل وصافح صاحب السعادة وانصرف بقامته القصيرة وهو يحس أنه قد بلغ السقف طولا .. حتى انه طأطأ رأسه ليمر من الباب .

روما ١٩٧٣/٦/٢٠



وضعت أضابير الكسب غير المشروع على نضد جلس خلفه ثلاثة قضاة ، ومد كل منهم يده وجذب ملفا راح يقرؤه فى امعان ، ثم رفع أحدهم رأسه والتفت الى كاتب الجلسة وقال وهو يدفع اليه بالملف :

— يستدعى صاحب هذا الملف لجلسة الاسبوع الأخير من الشهر القادم ..

وساد الصمت ثانية فقد عاد القضاة الى فحص الملفات وقد ظهر فى وجوههم الجد والاهتمام ، وأخذ كاتب الجلسة يسجل كل ما تتحرك به الشفاه . وارتفع صوت أحدهم فجأة قال :

— انى سأتنحى عند نظر هذا الموضوع .

فالتفت زميلاه اليه وقال أحدهم :

— لماذا ؟

وبدافع من حب الاستطلاع مد يده واخذ الملف من زميله وراح يفحص عنه فى اهتمام ، ثم قال مداعبا :

— لا أرى تشابها بين اسمك واسمه .

فقال الأول فى هدوء :

ــ لا توجد صلة قرابة بيني وبينه ، ولكنه كان زميلى فى الفصل .

ــ وهل هذا عذر كاف لتتنحى ؟!

ــ انه لم يحصل الا على البكالوريا ، وهو يذكر فى اقراره انه يملك مائة وخمسين الفا من الجنيهات .

فقال الذى كان يقلب صفحات الملف :

ــ ولم يذكر من أين جاءته هذه الثروة .

فقال ثالثهم :

ــ لعله ورثها أو ورث بعضها ، فالمال يتكاثر فى كل عصر .

فقال الأول :

ــ انه كان كثيرا ما يتأخر فى دفع مصروفات المدرسة ، وما كانت تزيد فى السنة على ستة جنيهات .. ولا احب ان اذكر اننا ــ طلبة فصله ــ كنا نتعاون على سداد الاقساط .

ــ كل هذا لا يدعو الى أن تتنحى .

ــ لانى أعرف انه كان طوال حياته خاملا ، ولم يكن فى يوم من الأيام أكثر من كاتب كآلاف الكتبة الذين تغص بهم مصـــالح الحكومة ، فمن أين له مائة وخمسون الفا من الجنيهات ، وانا لا املك مائة وخمسين الفا من المليمات وقد قاربت على سن المعاش .. لا احب ان أحكم بما أعلم ، وأكره أن أرى صديقا قديما لى وهو أمامنا يتوارى خجلا .. ويجفف عرقه ولا يجد لسانه .

فدفع الذى بيده الملف بالملف الى كاتب الجلسة ، وهو يقول :

ــ هام وعاجل جدا ، يستدعى صاحب هذا الملف للجلسة الأولى من الشهر القادم .

فقال الأول :

ـــ لن أحضر تلك الجلسة .. ينتدب من يحل مكاني .

ـــ بل تحضر وتتنحى عند نظر هذا الموضوع .

وجاء اليوم الموعود ، وفتح المصعد وخرج منه رجل أشيب قصير القامة دميم الخلقة يكاد يملأ وجهه أنفه الكبير ، وكان يرتدي بذلة من الموهير الأسود تتدلى من عنقه كرافتة تعلن أن لابسها من الأثرياء .

وولج الرجل باب مقر اللجنة ووقف يتلفت لا يدري أين يذهب ، فاذا بأحد الحجاب يسرع اليه ويقوده الى غرفة بها نضد طويل جلس حوله بعض الرجال ، وخلف النضد شنن لحفظ الملفات ولفافات الحصر التي اسندت الى الحائط ، فأحس في قرارة نفسه امتعاضا ولكنه توجه الى كرسي عند رأس النضد وجلس وهو يحيي الموجودين بايماءة خفيفة من رأسه .

وقال له الحاجب في جفاء :

ـــ الاخطار .

فأخرج من جيبه مظروفا أصفر وأخرج منه كتاب استدعائه ودفع به الى الحاجب في ثبات ، وما أن استقر حتى راح ينقل عينيه في الموجودين ... كان كل منهم قد جاء ومعه مستنداته .. وضعها أمامه في ملف أو ظرف كبير أو في حقيبة من الجلد . ولوى شفته السفلى في سخرية فقد جاء وليس معه مستند واحد يبرىء ساحته .

وكأنما ضاق الناس بالصمت الذي خيم عليهم ، وكأنما أراد كل منهم أن يفر من الوحدة القاتلة التي فرضها على نفسه ، فاذا بكل منهم يبث شكواه لجاره .. كان أحدهم في المعاش فراح يشرح مصدر ثروته التي يسألونه عنها بعد أن ترك خدمة الحكومة منذ خمس سنوات ، قال انه اشترى أرضا استصلحها ، وانه كان يبيع

محصولها ، وان مرتبه كان يمكنه من شراء الأرض فهو يسكن فى بيت الأسرة لا يدفع ايجارا ، وأنه كان يعيش من الخيرات التى كانت تأتيه من البلد .

وتحدث رجل فى عصبية ، قال انه يعمل فى شركة تأمين .. حقيقة أنه لا يحمل شهادة عليا ولكن نشاطه مكنه من أن يحصل على أموال كثيرة .. هل تعرف اللجنة حقيقة وظيفة موظف التأمين ومقدار عمولاته ؟!

وراح سائق يروى بلهجة بلدية فكهة مشكلته .. انه لم يعمل فى الشركة أكثر من شهر واحد ، فالبيت الذى يسألونه عنه قد ورثه هو واخوته الأربعة عن أبيه ، وقال :

ــ دا حتى بيت لا طلع ولا نزل .. يعنى خلاص ما فيش فى البلد دى حرامية الا احنا .

وانطلقت تعليقاته الظريفة فمحا ما خيم على المكان من كآبة ، وأشاع البهجة فى النفوس القلقة الخائفة .

وجاء الحاجب وأشار للرجل الأنيق أن يتفضل ، فسار فى خطى ثابتة حتى دخل على اللجنة فألفى اثنين يرمقانه من وراء مكتب صفت فوقه بعض الأضابير ، فأحس أن نظراتهما غير ودية فلم يحفل بذلك ، بل ألقى عليهما التحية فى رقة ، فلم يسمع لتحيته جوابا ، فجلس أمامهما على الكرسى الخالى دون أن تختلج منه خالجة .

وبدأ أحد الرجلين يلقى أسئلته وكاتب الجلسة يدون كل مايسمع :

ــ اسمك ؟

وقبل أن يفتح فمه كان الذى ألقى السؤال يجيب فى تؤدة ليكتب الكاتب الاسم . وقد عجب صاحبنا فى نفسه لذلك فهم يعرفون

اسمه من غير شك وقد استدعوه باسمه قبل أن يدخل ، ولم تسنح له فرصة أكبر للعجب والتعجب ، فقد صك أذنيه صوت الرجل العابس :

ـــ تاريخ ومكان ميلادك ؟

ـــ القاهرة عام ١٩١٨

ـــ الشهر .. ؟

ـــ ٢٧ مايو ١٩١٨

ـــ ذكرت في اقرار الذمة المالية أنك تملك عقارات وسندات قيمتها مائة وخمسون الفا من الجنيهات .

ـــ نعم ..

ـــ لم تذكر في الاقرار مصدر هذه الثروة ، أآلت اليك عن ميراث ؟

ـــ لا ..

ـــ هل دخلك من وظيفتك يسمح لك بتكوين مثل هذه الثروة ؟

ـــ لا .

فاعتدل الرجل العابس وقال :

ـــ فما مصدر ثروتك ؟

فقال الرجل الأنيق في هدوء وثبات :

ـــ زوجتي مانيكان .

فالتفت المحقق الى زميله ، وسادت برهة صمت وسرعان ما أحس الرجل العابس ان عليه أن يصدر قرارا فأملى على كاتب الجلسة .

ـــ ستدعى الزوجة في الجلسة القادمة .

وقام الرجل الأنيق وخرج مرفوع الراس ثابت الخطو ، وسار

صوب المصعد والحاجب يسير أمامه مرة وخلفه مرة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة .. ابتسامة يعرف الرجل الإنيق كل ما فيها من سر وعلانية ، حتى اذا ما بلغا المصعد ضغط الحاجب على الزر وهو ينحنى انحناءة خفيفة كلها ملق . فلما صعد المصعد وفتح الباب وضع الرجل الانيق جنيها فى يد الحاجب ، فاذا بابتسامته تتسع ، واذا بانحناءته تزداد ، وقبل ان يغيب الرجل الأنيق فى المصعد لمح الحاجب الآخر وهو يرقبه وهو يضع الجنيه فى يد زميله ، ولمح التقطيب الذى علا وجهه فاستشعر راحة ففى المرة القادمة ستكون المقابلة أكثر ودا وترحيبا ..

ومرت الأيام وجاء اليوم الموعود ، وانفرج المصعد عن الرجل الأنيق الأشيب دميم الوجه وعن فتاة رائعة الحسن قد كشفت عن ساقين متناسقين وركبتين لا ضخامة فيهما ولا اعوجاج ، قد خرج منهما فخذان صورهما مبدع الجمال فاتقن خلقهما .. سارت يتقدمها نهدان شامخان يتطلعان الى الكون كله فى تحد وغرور واعتزاز .

وسبقها اريج عاطر نفاذ جعل كل الذين كانوا حول النضد المتواضع فى غرفة الانتظار يديرون رءوسهم الى الممر فى ترقب وانتظار . فاذا بالحاجبين يسيران ينظران مرة الى الخلف ومرة الى الامام لكانما كانا مكلفين بافساح الطريق أمام موكب رسمى خطير ، واذا بالرجل الدميم والى جواره تحفته الرائعة التى كشفت فى لمحة عن خائنة اعين الجميع وان كان اغلبهم ممن احيلوا الى المعاش ، وراح كل من فى قاعة الانتظار يفسح مكانا الى جواره وهو فى ترارة نفسه يتمنى أن تجلس الحسناء بالقرب منه لحظات ليريح ذهنه المكدود ويسعد بلذة لم يعد له نصيب فيها الا متعة

النظر والخيال . وفجاة أصيب الجميع بخيبة أمل فقد سار القبح والجمال في الممر الطويل الى باب اللجنة .. الذى خف أحد الحاجبين وفتحه وقد انحنى انحناءة ترحيب ، وانفرج فمه عن أسنانه البيضاء وقد غمرته راحة حقيقية ، فجمال المراة كان يدغدغ الحواس ويملأ الوجدان بالأحلام .

ودخل الرجل وقدم زوجته الى اللجنة وكانت من نفس العضوين اللذين استجوباه أول مرة ، فاذا بالرجل العابس يبش وينهض ويشير الى كرسي أمامه لا يفصل بينه وبينه الا المكتب الذى وضعت فوقه بعض الأضابير ، وأشار في ود وقال في صوت رقيق عذب كان وقعه غريبا في أذن الزوج الاشيب :

— تفضلى .

فجلست الحسناء ووضعت ساقا فوق ساق ، فاذا بكاتب الجلسة الذى كاد يرى ما لا يرى يتغير لونه ويجف ريقه ويحس أنه فقد لسانه ، فتمنى في قرارة نفسه الا يساله احد سؤالا يحتاج منه الى جواب ، فلو أن احدا فعل فسيتهدج صوته وينكشف الغطاء عما يكابد من انفعالات .

وبعد أن سالها أحدهما عن اسمها وسنها ومكان ميلادها المبارك قال :

— المهنة من فضلك .

فقالت وهي تميل بصدرها نحو المكتب ، فيبدو لعيني الرجلين الأخدود الرائع الذى حفر بين نهديها من منبعه الى مصبه كسر يكاد يبوح بمكنونه ويميط اللثام عن مصدر الثروة التى ذكرت فى الاقرار :

— مانيكان .

ولم يكن هناك ما يحتاج الى بيان والبرهان ماثل أمام الأعين ، ولكنها ارادت أن تزيد الموضوع وضوحا فقالت فى الفة :

ـــ عرضت أزيائى فى باريس ولندن ومدريد .

فقال أحد الرجلين فى خبث :

ـــ ألم يكن للبلاد العربية نصيبه ؟

فقالت وقد فطنت الى ما يهدف اليه وعلى شفتيها ابتسامة آسرة :

ـــ كانت أول جولاتى فيها .. الكويت .. قطر .. البحرين . كنت فى الشتاء الماضى فى دبى .

وقال الرجل الآخر :

ـــ شكرا لك .

ونهضت ونهض الرجل الأشيب وسارا .. هو يتقدمه أنفه .. وهى يتقدمها ثديان يشملان عينى الحاسد ، فلما غابا عن المكان نظر أحد المحققين الى الآخر وقال :

ـــ مائة وخمسون ألف جنيه ؛

فقال زميله :

ـــ تستاهل .

والتفت الى كاتب الجلسة وقال :

ـــ يحفظ .

روما ١٦/٦/١٩٧٣.

أرملة من فلسطين

اقتربت المضيفة من علي ــ وكانت ترتدي ثوبا في زرقة السماء الصافية فصل على هيئة شوال ــ وهي تقوم بخدمة ركاب الطائرة ، فاشار لها اشارة خفيفة مخفت اليه مبتسمة تسأله عن حاجته .. فطلب فنجان قهوة سادة . وانطلقت المضيفة بقامتها الفارعة الى مطبخها الصغير الأنيق وثوبها يتثنى في الفراغ بين الأكتاف والأرداف فيجسم مفاتنها الصارخة .

والتفت علي عن يساره فوقعت عيناه على امرأة سمراء البشرة عسلية العينين يحدهما من أسفل هلال أسود ، ترتدي ثوبا كحليا من قطعتين ، وراحت تقرأ في كتاب « البنات والصيف » ، وقد تركت المقعد الذي يفصل بينه وبين الممشى الضيق خاليا ، وجلست في المقعد التالي له ، ووضعت المجلات الاخرى التي كانت تحملها في الجيب المشقوق في ظهر المقعد الذي كان امامها .

وعادت المضيفة تحمل فنجان القهوة وفنجان شاي ، ووضعت القهوة أمام علي ووضعت الشاي أمام السيدة السمراء التي كانت مبتسمة من الأسى تكسو وجهها ، وأخذ علي يحتسي القهوة . ولمح من طرف عينه السيدة السمراء تخرج من حافظتها زجاجة صغيرة

تضع منها بعض قطرات فى حرص فى الشاى ، ثم تعيدها الى مكانها .

واسترخى على فى مقعده ، والتقت عيناه اكثر من مرة بعينى السيدة وقرأ فى نظراتها نداء احس وقعه فى فؤاده ، كان نداء غريبا على مشاعره لم يعرف تأويله ، وظل حائرا مدة فى تفسيره ولم يخطر له على قلب انه نداء يشوبه ظل من الجنس ، فقد كان البريق المشع من عينيها يحرك الجوانب الطيبة فى نفسه .

وهبطت الطائرة فى مطار بنينة ، واسرع على الى الاستراحة دون أن يلتفت الى السيدة ، كان الجو حارا والمكان مكتظا بالايطاليين والامريكان ، والمراوح القليلة المتدلية من السقف عاجزة عن تجفيف عرقه المتصبب فأخرج منديله وراح يمرره على وجهه ورقبته وقفاه .

واقبل الجرسون الليبى ووقف أمامه فقال على :

ـــ قهوة جديد .

ومس الطلب اذنى شاب جالس بالقرب منه فالتفت اليـه فى فضول ، وفطن على الى ما فى نظرات الشاب من تساؤل فابتسم له وقال :

ـــ هذه اول مرة تزور فيها ليبيا ؟

فقال الشاب فى راحة :

ـــ نعم ، ولن أمكث فيها طويلا .

ـــ الا تشرب شيئا ؟

ـــ شكرا .

ـــ اعرف أن ليس معك نقود ليبية بعد ، لا تهتم بذلك فمعى نقود ليبية كثيرة ، اننى اعمل هنا من ثلاث سنوات .

واشار على الى الجرسون أن تعال ، ولما جاء قال على للشاب :

ـــ « أتشرب « بمبة » أم قهوة جدجد ؟ !

وبانت الدهشة في وجه الشاب فلم يدر ماذا يختار ، ولم يتركه علي لحيرته بل قال :

ـــ قهوة جدجد أي قهوة « قدقد » أي سكر « ع الريحة » ، فما رأيك ؟

ـــ أهي مثل القهوة المصرية ؟

ـــ لا انها قهوة بنها مجروش لن تعجبك .. افضـــل لك « بمبة » .

وقبل أن يقول الشاب شيئا قال علي للجرسون :

ـــ بمبة ..

وذهب الجرسون وقال علي للشاب :

ـــ سنتناول قهوة مصرية في بيتي ، انني قاطن في طرابلس بالقرب من فندق مهاري .

وظل وجه الشاب جامدا لم يزده علي علما بشيء ، انه لم ير طرابلس من قبل ولا يدري أين يقع ذلك الفندق الذي يتحدث منه ، وقال الشاب :

ـــ اشكر لك دعوتك .

وعاد الجرسون ووضع القهوة أمام علي ووضع كوبا به سائل أبيض في لون اللبن أمام الشاب ، ونظر الشاب الى الكوب مليا وقال :

ـــ أهذه هي « البمبة » ؟ !

ـــ ذقها إنها لذيذة ..

ورفع الشاب الكوب الى فمه ورشف منها في حرص ثم قال :

ـــ لذيذة ! يخيل الي انني شربت هذا الشراب من قبل .

فابتسم علي وقال

ـــ انها سوبية .

ورشف على من الفنجان رشفة ، ورفع عينه الى الجرسون وقال وهو يهز رأسه استحسانا :

ـــ « باهي » .

واشرق وجه الجرسون بابتسامة عريضة وانصرف راضيا ، وقال الشاب :

ـــ ما معنى باهي ؟

ـــ معناها « حسن » ، وقد سمعت فى ليبيا انها كلمة عربية ولكننى لا افهم فى اللغة شيئا .

فقال الشاب وهو يضحك :

ـــ « باهي » فعلته .

فقال على وهو مسرور :

ـــ لو كانت كلمة عربية لوجب أن تقول : « باهيا فعلت » .

وراح الجرسون يمر على الموائد وهو يعرج ، ولمح على اثار الالم فى وجهه فقال له لما دنا منه وهو يشير الى رجله :

ـــ ماذا بك ؟

فقال الجرسون وقد أرضاه أن يهتم غريب بأمره :

ـــ « كرامي » تؤلمنى ، ارتطمت بمقعد هذا الصباح .

واستأنف الجرسون عمله ، ولما ابتعد قال الشاب :

ـــ كرامه تؤلمه ؟ ! ما هى كرامه ؟

ـــ ساقه .

ـــ الساق اسمها كراع ؟ !

ـــ انها من الكارع .

ومر بعض الوقت ، واقبل الجرسون وقال :

— ستتحرك الطائرة بعد خمس دقائق .

فقال على فى هدوء :

— واتى .

واخرج من جيبه حافظة نقوده ودفع ثمن ما شربه وما شربه الشاب ، وابتعد الجرسون وقال الشاب فى صوت خافت وهو يقدح زناد فكره محاولا أن يفهم معنى الكلمة :

— واتى ! واتى ! ..

فقال له على وهو يبتسم :

— لا تجهد نفسك ، انها ليست كلمة عربية ، انها كلمة بربرية ومعناها : أنا مستعد .

وضحك الشاب وقال :

— وانا « واتى » .

وجاء رجل يسعى ووقف فى وسط المكان وصفق ثم قال :

— تفضلوا ..

ونهض المسافرون الى طرابلس ليستأنفوا رحلتهم ، وسار على والشاب الى الطائرة ، وقبل ان يصعدا فى الدرج التفت على الى الشاب وقال :

— لا تنس انك مدعو لشرب القهوة المصرية فى بيتى .

— شكرا لك .

— بعد ساعتين من الملل والفراغ سنحتسى القهوة المصرية معا ان شاء الله .

— ان شاء الله .

وغابا فى الطائرة ، وانطلق على الى مقعده والتفت الى السيدة السمراء فألفاها قد اضطجعت فى مقعدها وسقط رأسها على

صدرها وغابت عن الوجود ، وجعلت تشهق وتزفر في جهد وقد تفصد العرق من وجهها ، فخف اليها وجلس في المقعد الخالي الى جوارها وتناول يدها وجعل يدلكها بيديه ، ثم رفع يده وراح يضرب خدها في رفق لعلها تفيق دون جدوى ، فنادى المضيفة فجاءت بسرعة فقال لها في لهفة :

ـــ كولونيا من فضلك .

وهرولت المضيفة بجسمها الفارع وغابت قليلا في مقصورتها وما لبثت أن عادت مسرعة تحمل زجاجة الكولونيا ، فبسط لها كفه فصبت فيها الكولونيا ، فأدناها من أنفها ثم راح يمسح بيده وجهها وجيدها .

واضيئت اللافتة التي تأمر الركاب بربط أحزمتهم ، فلف حزام المقعد حول وسطه ومد يده ليلف حزامها ولكنه احجم ، أحس كأن رجلا آخر يتلبسه يصيح به في زجر الا يفعل ، وانكمش أمام ذلك الصوت الناهي وشلت حركته ، وأشار الى المضيفة أن تربط لها حزامها ففعلت ثم أسرعت الى مقعد خال وجلست فيه ولفت الحزام حول وسطها .

وراحت الطائرة تدرج على الأرض ثم ترتفع في الجو وهو يدلك يديها في رفق ويربت على خدها في حنان حتى فتحت عينيها ، ولما رأته ابتسمت له ابتسامة شاحبة ، وترجم البريق المتألق في عينيها عن شكرها ورضاها .

ورفعت رأسها واعتدلت في مقعدها قليلا ، فقال لها :

ـــ كيف أنت الآن ؟

ـــ أحسن .

وانتظم تنفسها وعادت الحمرة الى خديها ونبضت الحياة في

عينيها ، وظل الهلالان الاسودان اللذان يحدان عينيها من أسفل على حالهما ، ومال نحوها وقال لها :

ـــ اهذه أول مرة يحدث لك فيها هذا الذى حدث ؟

فقالت فى نبرات يشوبها أسى :

ـــ حدث لى ذلك مرة قبل اليوم ، وقد عرضت نفسى على الطبيب فقال لى ان دورة الدم غير منتظمة ، ولكننى فهمت أن قلبى ضعيف .

ـــ ومن اين جاء هذا الفهم ؟

ـــ وصف لى أن اتناول أربع نقط من الكورامين ثلاث مرات فى اليوم ، فاذا لم يكن قلبى ضعيفا فلماذا وصف لى الكورامين ؟

ولم يكن يفقه شيئا فى الطب ولكنه احس رغبة فى أن يدخل الطمأنينة على نفسها الواجفة فقال فى حماسة :

ـــ وصف لك الكورامين ليعاون على انتظام دورة الدم ، لقد وصف لى الطبيب مرة استعمال الكورامين مع أن قلبى سليم ، انه علاج عارض .

وصمت وراح يسأل نفسه : لماذا كذب ؟ وما الذى دفعه الى هذا الكذب ؟ وقبل أن يسترسل فى حساب نفسه قالت له :

ـــ أظن انك رايتنى وانا اضع الكورامين فى الشاى ؟

ـــ نعم .

والتقت عيناها بعينيه . كانت نظراتها اليه تختلف عن النظرات التى حار فى أمرها ، انها نظرات راضية تدعوه الى الاسترسال فى الحديث الذى ينزل السكينة على قلبها ، بينا كانت نظراتها التى فهمت عليه تتوسل اليه أن يخف اليها ليحميها من الغيبوبة التى كانت تزحف لتحجبها عن وعيها .

ورفت على شفتيها بسمة وقالت :

ـــ احسست انني سأغيب عن الوجود قبل أن تهبط الطائرة فتمالكت ، حتى اذا ما استقرت الطائرة على أرض المطار اسرعت الى غرفة المضيفات وتمددت فى سرير الأيسر للدم الصعود الى راسى .. وقد احسست بالراحة فعلا ولكن ما ان عدت الى الطائرة حتى شعرت بالاغماء يعاودنى .

ـــ لعلك أجهدت نفسك فى الأيام الاخيرة .

ـــ عدت بالطائرة من الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة ركبت هذه الطائرة .

فقال على فى دهش :

ـــ أنت مصرية ؟

فهزت رأسها أن نعم ، فعاد على يقول فى انكار :

ـــ ان من يراك يحسبك سورية .

ـــ حقا ؟ !

ـــ انت سورية على الرغم من سمرة بشرتك ، التقاطيع .. الانف .. الدم .. حتى لهجتك .

فقالت وقد أشرق وجهها بابتسامة حلوة :

ـــ ابى مصرى وامى فلسطينية .

ـــ وأين ولدت ؟

ـــ فى القدس .

ـــ وأين ابوك الآن ؟

فقالت فى بساطة :

ـــ مات ولحقت به امى .

فقال على مواسيا :

ـــ هذا حالنا ، وانا ايضا مات أبى ولحقت به أمى ..

فقالت فى مرارة :

ـــ ان كان ابوك وامك قد ماتا فقد بقى لك وطنك ، أما أنا فلا وطن لى .

فقال على وقد اتسعت عيناه :

ـــ الم تقولى ان اباك مصرى ؟

ـــ ولكننى ولدت فى القدس ، وعشت فيها وتفتح شبابى عليها ، اننى فلسطينية ، ولقد عشت النكبة وذقت مرارتها وتجرعت كأس التشريد ، اننى مذ فررت من وجه الطغيان اهيم على وجهى تائهة فى هذه الدنيا الواسعة ، وكلما مرت الأيام ازداد احساسى بوحدتى بشاعة ، واتصور أحيانا أن العالم كله يمقتنى .. هدفه أن يسحقنى ، ويا ليته يقضى على دفعة واحدة لأستريح ، ولكنه يتفنن فى تعذيبى . اننى لا أظن ان الزمن قد عذب أحدا كما عذبنى .

فقال لها على فى اشفاق :

ـــ أوهامك تصور لك ذلك ، انت مريضة بالوهم .

فابتسمت فى استخفاف وقالت :

ـــ يا ليت !! .

ـــ الكورامين .. ضعف القلب .. قسوة الحياة .. كلها اشياء من خلقك أنت .

فقالت وقد غامت صفحة وجهها بسحابة من الأسى :

ـــ لولا اننى لا أريد أن اثقل عليك لقصصت عليك قصتى .

فقال على فى صدق :

ـــ انه لما يشرح صدرى أن اصغى اليك .

ـــ ولكن قصتى لا تشرح الصدر .

ونظر اليها طويلا دون ان ينبس بكلمة ، وشرد مفكرا .. كان يبحث عن الالفاظ التى تترجم عن الاحساس الجياش الذى يملأ جوانحه ، وضاق بالصمت الذى ساد بينهما فقال :

ــ قد تستريح النفس الى حديث فياض بالأسى وتنفر من حديث زاخر بالمرح ، العبرة فى أن يتفتح القلب للقلب ، وقلبى الآن متفتح لكل ما يخرج من بين شفتيك .

واسبلت جفنيها على عينيها .. بهرها ذلك البريق المتالق فى عينيه . وظل يرمقها فاستشعر ميلا اليها ، انها قريبة اليه .. اقرب من ذلك الفراغ الذى يفصل بين مقعديهما ، وقال :

ــ قولى كلى آذان .

والتفتت اليه بكل جسمها ، وراحت تقص قصتها فى صوت مشوب باسى ينفذ الى القلب ويحرك مواجع النفس ، قالت :

ــ كان بيتنا فى القدس ، وكانت مدرستى فى شارع الملك داود ، فكنت أذرع الشارع انا وصويحباتى فى الصبح وفى العصر ، ومرت الايام والشهور والسنون زاخرة بالغبطة والآمال ، يزيد جمالها ما تضفيه عليها قلوبنا الشابة الخلية النابضة بأروع مشاعر الحياة .

وجاء اليهود الافاكون الى الوطن الحبيب من مشارق الارض ومغاربها فى حماية دولة الانتداب ، وبعد ان كانوا اذلة طغوا وبغوا واشتدت مطالبتهم بتنفيذ وعد بلفور المشئوم ، وقمنا للدفاع عن كياننا ولكن الانجليز كانوا يضربون على أيدينا بشدة ويتركون الافاكين يرتكبون الجرائم فى حمايتهم .

واعلن الانجليز انسحابهم من فلسطين بعد ان أحكموا تدبير مؤامرتهم مع اليهود ، فراحت فلسطين ترقص على فوهة بركان ، وكثرت الاشتباكات والاغتيالات .

وفى ذات صباح كنت أجتاز شارع الملك داود وكنت قد بلغت التاسعة عشرة ، واذا بشابين يهوديين يعترضان سبيلى وقال أحدهما : « نعلمين أن فتاة يهودية قتلت أمس ، قتلها العرب » ، وارتجفت وتحركت لأفر من وجهيهما واذا بصوت آمر يقول : « قفى ، ستموتين الآن كما ماتت اختنا بالامس » وأخرج مسدسه وصوبه الىّ وهو يقول : « صلى » ، ولم افعل شيئا ، تملكنى رعب شديد ، وأحسست أن رأسى فراغ ، تعطل فكرى وان كانت مشاعر الخوف تكاد تقضى علىّ .

وسمعت صوت انطلاق رصاصة وانهرت على الارض كما ينهار الجدار وقر فى وجدانى أننى مت ، وغبت عن الوجود . وتقضت لحظات وأنا لا أحس شيئا ، وبدات المشاعر تعاود نبضها فى جنباتى ، وفتحت عينى وأنا خائفة فرأيت أشباحا تتراقص واخذت الصور تتضح لعينى شيئا فشيئا ووعيى يعود الىّ ، ففطنت الى اننى مستلقية على الارض وأن رأسى على ذراع رجل ، وأن الناس التفوا حولى .

ونهضت أتحسس مكان الرصاصة فى جسمى ، وكم كانت دهشتى عندما اكتشفت انها لم تصبنى . وتطوع كثيرون لقص ما حدث على مسامعى ، وقد فهمت من رواياتهم أن دروية بريطانية ظهرت فى الطريق فى الوقت الذى صوب فيه الجبان مسدسه الىّ ، وانه ارتبك فطاشت رصاصته ومرت بجوارى وان اليهوديين أسرعا الى سيارة كانت فى انتظارهما وفرا هاربين .

وصمتت قليلا ثم قالت :

— ليتنى قتلت فى ذلك الصباح واسترحت من العذاب الذى كان فى انتظارى . بعد تلك الحادثة نسف فندق الملك داود وانسحب الانجليز بعد أن تركوا بعض أسلحتهم لليهود ، وبدات المذابح

ودخلت الجيوش العربية لانقاذ فلسطين ، وكانت خيانات الملوك فسقطت القدس الجديدة فى ايدى الصهيونيين ، وكان علينا أن نترك الدار التى نشأت فيها ونفر من الموت الذى يتعقبنا ، وهمنا على وجوهنا مرعوبين واصبحنا لاجئين بعد أن كان لنا بيت واهل ووطن :.

واسبلت جفنيها على عينيها لتخفى الحزن الدفين الذى تحرك واحتشد فى مقلتيها ، وقالت فى مرارة :

ـــ وفجأة وجدنا انفسنا فرعا بلا أصول ، عضوا ابتر انفصل عن الجسد .. وكنا على الرغم من الشقاء الذى نتجرعه اسعد حالا من اخواننا ، كانت جنسية ابى جواز المرور لنا فانطلقنا الى مصر وحططنا رحالنا فى الاسماعيلية .

وبدأ أبى من جديد .. وانها لقسوة أن تضطر الظروف من كان يعيش فى بحبوحة مثله أن يبدأ من جديد ، واتضح أن الأمر ليس فى مثل السهولة التى صورها لنا أول ما هبطنا الاسماعيلية .. وفطنت أن الواجب علىّ أن اعمل لاساعد ابى وامى ، ووجدت عملا فى مدرسة . ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدرسة تعلم الفتيات الحساب .

وذقت طعم الاستقرار فى الاسماعيلية ، ولكن كان قلبى متعلقا ببيتى الذى كان هناك يرزح تحت ذل احتلال الصهيونيين .

وعرفته فى المدرسة ، كان مدرسا للغة الانجليزية وكان وديعا خجولا .. اذا تحدث الىّ يطرق الى الأرض ويقضم اظافره بأسنانه كالأطفال ، وقد مست وداعته وترا حساسا فى نفسى وخفق قلبى بحبه ، وقد عجبت لذلك الاحساس الجميل الذى تدسس الى ظلام روحى فى غفلة منى .

وافزعني أن قلبي قد خفق بالحب على الرغم من المحنة التي نعيش فيها . حاولت أن اقهر ذلك الشعور وأن اقبره ولكن الحياة اقوى من اتراحنا ، فطفا حبي فوق احزاني وتندى في لفتاتي وحركاتي ونظراتي ، حتى ان أمي فطنت الى التبدل الذي اعتراني وسألتني في حنان عن حياتي وعن شعوري نحو زملائي ، فأفضيت اليها وانا مطرقة اكاد اذوب خجلا بسر قلبي ، ونظرت اليها من بين اهدابي المسبلة لأقرأ الغضب في وجهها ولكنها كانت متبسطة الأسارير تتألق نظراتها بالغبطة ؛ وطفت سعادتها حتى أنها ضمتني الى صدرها وقبلتني .

وشد ازري رضا امي فأشرقت نفسي ، واقبلت عليه أحادثه وانا نابضة بالحب والحنان ، فاستراح الي وحلت عقدة لسانه وكشف عن مكنون صدره ، قال انه يحبني وانه لا يستطيع العيش بدوني ، وانه يريد أن يتخذني زوجة ويود أن يسمع رأيي .

وغردت بلابل نفسي ، وتفجرت ينابيع سعادتي ، وصفت الحياة في عيني وطفرت دموع الفرح من مقلتي ، ولم تتحرك شفتاي بكلمة وان نطقت كل ملامحي وخلجات ذاتي ترحب بذلك العرض الكريم ، واحس السعادة التي غمرتني ، وهنأ قلبه بحديث قلبي فقال في صوت خافت زاخر بالغبطة : شكرا . . شكرا .

وتم زواجنا ، ومرت الأيام وانا هائمة في دنيا كلها غبطة . . وفجاة أستيقظت من الحلم الجميل على موت أبي ، حزنت وبكيت ولكن زوجي مسح بيده الحنون دموعي ، وبرئت روحي من احزانها بما سكبه فيها من عطف وحنان . . واستأنفت حياتي اعب كئوس سعادتي . وتصرمت سنون وماتت أمي فنكأ موتها جرح نفسي وعادت نكبتنا تتمثل لعيني ، صرت أراها في يقظتي وفي نومي ،

ويا طالما رايت في احلامي الشابين الصهيونيين وهما يستوقفاني في شارع الملك داود ويصوب احدهما الي مسدسه فأهب من نومي مفزوعة وانا أصرخ في رعب وهلع .

كان عزائي يوم موت ابي انه دفن في ارض وطنه ، أما أن تموت امي مشردة دون أن تلفظ آخر انفاسها في القدس فذلك الذي كان يقطع نياط قلبي . واصبحت حليفة احزاني ، وبذل زوجي ما في طوقه ليرفه عني ولكن جرح فؤادي كان أعمق من أن يلتئم ، فيحه استسلامي لاحساساتي السوداء .

آه لو كنت ادري ما يخبئه لي قدري لقاومت مشاعري وغمرته بكل ما تزخر به نفسي من حنان ، ولكن لم يخطر لي على قلب ان الزمن يدخر لي أسوأ ما في جعبته من مفاجآت .

كانت اسرائيل سبب نكبتي الأولى وكانت هي سبب فجيعتي الثانية ، وانني اعيش الآن على أمل واحد ان ارى زوال تلك الباغية التي جرعتني امر كئوس الحياة ، وأن يتلوى طغاتها من الالم على ما اقترفوا من آثام .

نسجت اسرائيل خيوط المؤامرة علي مصر ، وتم اتفاق الأوغاد على الغدر بها . وتحركت اسرائيل على الحدود ، وحاول الانجليز والفرنسيون ان يطعنونا من الخلف ، وشنت الطائرات علينا الغارات . ولا ادعي انني قابلت تلك الغارات وانا رابطة الجاش ، كنت أرتجف هلعا واصيح محمومة أستنزل اللعنات على الغادرين ، فقد كنت اخشى ان ينزل بوطن أبي ما نزل بوطن امي ، وان نهيم على وجوهنا جميعا مشردين .

كان اذا ما انتشر أزيز الطائرات يهرع الي ويضمني الى صدره في حنان ليذهب عني روعي ، ولكنني كنت انتفض في أحضانه

وانا اسب والعن واصيح ، وهو يحاول أن ينفث فى الاطمئنان بكلماته التى يسكبها فى .

وفى الليلة المشئومة استيقظت من نومى مفزوعة على أصوات القنابل الهابطة من السماء ، ففتحت باب غرفتى وانطلقت أعدو فى الطريق دون وعى لا الوى على شىء ، ولا أعرف اين أتوجه ، وهب من نومه وراح يعدو خلفى ويناديني والقنابل تتساقط حولنا ، وصكت أذنى صرخة مرعوبة ثم صوت انهيار ، وعلى الرغم من الهلع الذى استبد بى ، أحس قلبى ما حدث وفى مثل لمح البصر تمثلت لذهنى الفاجعة ، فانقشع خوفى فجأة ووقفت والتفت خلفى فرأيته يتلوى من الالم ، فعدت اليه ونظرت ، فاذا بالدماء تتفجر من جراحه فارتميت فوقه أحاول أن أسد بيدى ينابيع الدماء المتدفقة دون جدوى ، وجن جنونى فجعلت أصيح وأنادى واتلفت وضاعت صيحاتى بين هزيم القنابل المدوية .

وسكن كل شىء ، حتى قد سكن عن الحركة ، واخفيت وجهى فى صدره الغارق فى الدماء وانا أبكى وانتحب واختلطت دموعى بدمائه وتمنيت فى تلك اللحظة لو ان الطائرات تعود وتصوب الى كل ما تحمل لاذهب معه ، فقد كان آخر خيط يربطنى بدنيا الضوارى التى لا يزال يحكمها قانون الغابة .

ولم أطق العيش فى مصر بعده ، فرحت أسعى للخروج منها ، وواتتنى الفرص فوجدت عملا فى ليبيا ، فحملت أحزانى على ظهرى وانطلقت اليها .

وصمتت وظل على يرقبها وقد نبتت مشاعر جديدة فى جوفه ، كان يستشعر عطفا نحوها ويحس أنها صارت قريبة الى قلبه حبيبة الى نفسه ، واراد ان يظل حبل الحديث موصولا بينهما فقال :"

ــ وماذا تعملين في ليبيا ؟

فقالت دون أن تنظر اليه :

ــ ناظرة مدرسة ابتدائية .

وقال وقد تهدج صوته :

ــ اتعيشين في طرابلس وحدك ؟

ــ نعم ، وبيتي في شارع القاهرة . ولم اسكن في هذا الشارع عفوا فقد صممت على ان اقطن فيه ليذكرني دواما بمأساة حياتي .

ــ اذا كنت ترغبين في ان تظل مأساة حياتك حية في نفسك ففيم كان هربك من مصر ؟ !

ــ اننا نهرب دواما من مسرح الفاجعة ، ولا مفر من ذكراها

ــ ولماذا لا تحاولين أن تنسى ؟

ولم تدعه يكمل حديثه ، وقالت في مرارة :

ــ هيهات أن ينسى المرء عشه السعيد الذى تقوض .

ــ لا تزالين شابة ، لماذا لا تحاولين أن تبنى عشا سعيدا آخر ! .

فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :

ــ ان كان شعرى لا يزال أسود فان الشيب قد نبت في أغوار نفسي وجلل وجداني .

فقال خافق القلب وقد ازداد منها قربا :

ــ قطرات من الحب كـ[illegible] تعيد سواد الشعر الى وجدانك .

فقالت وهي تبتسم في استخفاف :

ــ سيكون سواده كسواد الصبغة ما يلبث أن يذهب .

ــ انك لم تشيخي ، ولكن نفسك قد جرحت والأيام هي البلسم الشافي للجروح .

فلوت شفتها وقالت فى مرارة :

ـ لو كان هذا حقا فسيبرا جرح قلبى بعد أن يمتد اشتعال الشيب من اعماقى الى راسى .

فقال فى انفعال :

ـ تتحدثين كأنما الشباب والجمال المادى كل شيء ، الحب الصحيح هو حب الروح ، وما أكثر الذين سيعشقون روحك لو فتحت لهم قلبك وخرجت من قوقعة ذاتك .

فقالت فى زراية :

ـ شكرا .

ولم تفتر حماسته وقال :

ـ انت وحيدة فى طرابلس وانا وحيد ، أتسمحين لى بزيارتك ؟

فقالت فى ترحيب :

ـ ليتك تفعل :

ـ قلت ان منزلك فى شارع القاهرة . .

ـ أمام محل منصور .

وابتسم وقال :

ـ تحدثنا طويلا دون أن يقدم احدنا نفسه للآخر ، انا على طه محاسب قانونى ، لى مكتب فى طرابلس وآخر فى بنى غازى وانا دائم التنقل بينهما .

فقالت وهى تبتسم :

ـ تشرفنا .

وصمتت ولم تذكر له اسمها ولم يكن فى حاجة الى معرفته ، فهو يحس فى تلك اللحظة ان روحها انسابت بين جوانحه فأيقظت أرق مشاعره الهاجعة . واضيئت اللافتة التى تأمر الركاب بربط أحزمتهم فلف كل منهما ذراعه حول وسطه ومال نحوها بكل جسمه

وأدنى منها أذنه ليتمكن من سماع حديثها ، ولكن كلماتها ضاعت فى هدير مراوح الطائرة التى ملأ ضجيجها .

واستقرت الطائرة على الارض فالتفت اليها وقال :

ـــ حمداً لله على السلامة .

ومال وجذب حقيبته الصغيرة من تحت الكرسى الذى امامه ثم نهض وافسح لها طريقا ، ومدت يدها لتحمل حقيبتها المنتفخة ولاح فى وجهها أنها قاست من حملها ، فخف اليها وحمل الحقيبة عنها وهى تقول :

ـــ عفوا . . عفوا .

فقال وهو يبتسم :

ـــ باهى . . باهى .

وسارت وهو خلفها حتى اذا هبطا الى أرض المطار انطلقا جنبا الى جنب وهما يتحدثان ، واحس على يدا على كتفه فالتفت خلفه فاذا بالشاب الذى وعده بفنجان قهوة مصرية يشربه فى بيته يبتسم له . كان على قد نسيه فى غمرة نشوته بالحديث الذى كانت تسكبه فى أذنيه . انه كان صادق الشعور سليم القلب ساعة أن دعاه مما دار فى خلده أن يطرأ على حياته كل ذلك التغيير فى ساعتين حسب انه سيقضيهما فى تثاؤب وملل ، أما الآن فقد زحف الضيق الى صدره وان لم تبد على وجهه آثاره .

والتصق الشاب به كأنما يحتمى به فما كان يدرى الى اين يذهب وماذا يفعل ، وانتهت الاجراءات وخرجوا الى سيارة الشركة التى كانت تنتظرهم ، وجلست واسرع بالجلوس الى جوارها مسافر آخر ، فأخذ على يرمقه فى شزر ، ثم اتخذ مكانه خلفها وهرع الشاب اليه وجلس الى جواره .

وانطلقت السيارة الى المدينة ، وقال الشاب لعلى وهو يبتسم :

ـــ عزمت على أن انزل فى الفندق القريب من بيتكم ، لقد ذكرت لى اسمه ولكننى نسيته ، ما اسمه ؟

ـــ المهارى .

وقال الشاب دون ان يفطن الى أن عليا يريد ان يظل فى رفقة نفسه ، يحلل مشاعره التى تفجرت بغزارة فى اعماقه بعد حديث السيدة الذى مس أوتارا مرهفة الحس فى وجدانه :

ـــ وهل « المهارى » كلمة عربية ؟ .

فقال على فى نبرات تنم عن رجائه له ان يسكت والا يعاود الحديث :

ـــ انها كلمة ايطالية ومعناها « الهجين » .

وقال الشاب ليظل حبل الحديث موصولا بينهما :

ـــ قطعنا مسافة طويلة ولم نبلغ بعد المدينة ، فكم كيلومترا يبعد المطار عن طرابلس ؟

ولم يحر على جوابا ، ونظر اليه الشاب فالفاه شارد اللب ، فاحترم صمته مرغما .

وبلغت السيارة المدينة وهبط منها ركابها ، وسر عليا انها وقفت تنتظر هبوطه فخف اليها يودعها وهو خافق القلب يشع من عينيه بريق اخاذ ، ومدت له يدها مصافحة فأسرع واحتوى يدها فى يده وضغط عليها فى خفة لتسرى المشاعر الموارة المربدة بين جنباته اليها ، وقال فى رقة :

ـــ مع السلامة .

وقالت فى هدوء :

ـــ منتظرة زيارتك .

وتدفق الدم حارا الى وجهه وقال فى صوت متهدج :
ـــ ان شاء الله .

وسارت وهو يرمقها ونشوة تدغدغ كل حواسه ، واحساس بالرغبة فى أن يعدو خلفها ليكون الى جوارها دواما يملأ نفسه .

وغابت عن عينيه ، ودار على عقبيه فالفى الشاب قد وضع حقيبته بين رجليه ووقف ينتظره ، فابتسم له وقال :

ـــ تعال .

وركبا عربة حنطور تظللها مظلة كبيرة مخططة من مظلات الشواطىء ، وراح الشاب يملأ عينيه بالمحال والمبانى والغادين والرائحين ، وسارت العربة الى الكورنيش ، فصاح الشاب فى فرح :

ـــ لكاننا فى الاسكندرية ، فى الميناء الشرقى على التحديد .

وظل الشاب فى تلفته دون أن ينبس على بكلمة . . كان غارقا فى بحار من الافكار . ووقفت العربة امام مبنى ابيض له مظلة اقيمت على أعمدة مستديرة رفيعة اصطفت تحتها بعض سيارات ، وفوق المدخل شيدت بناية مثمنة الشكل فى قاعدتها نوافذ ، وفى منتصف المثمن قامت اسطوانة تنتهى بنصف دائرة ، وكتب فى أعلاه بالعربية والايطالية « فندق المهارى » ، وهبط الشاب وهو يحمل حقيبتين ولحق به على ، وأراد الشاب أن يقول شيئا ليذهب الوحشة التى بدأ يحسها فقال :

ـــ عربة جميلة .

فقال له على :

ـــ انها تسمى هنا « كاروسة » .

وذهب على وحجز له غرفة ، وانتظره فى الردهة حتى ينتهى من وضع حوائجه ويعود اليه ، واخذ على يذرع المكان وهو يرم

بالانتظار . انه قد عرض على الشاب أن يصحبه الى بيته ليشرب فنجانا من القهوة لأن حياته فى طرابلس كانت فارغة وكان فى حاجة الى من يؤنس وحشته ، أما بعد أن قابلها فقد ذهبت عنه وحدته وملأت عليه حياته .

وعاد الشاب وصحبه على الى بيته ، ورحب به وقدم اليه قهوة مصرية ، وراح الشاب يتحدث وهو غائب عنه . وفطن الشاب الى شروده فاستأذن فى الانصراف متعللا بتعبه وحاجته الى الراحة .

وبقى على فى البيت مع طيفها يتمثل الحديث الدائر بينه وبينها ورن فى سريرته صوته وهو يقول لها : « لماذا لا تحاولين أن تبنى عشا سعيدا آخر ؟ » فضرب كفه بقبضته وقال : « نعم ، لماذا لا تحاول أن تبنى عشا سعيدا آخر ؟ فلتحاول وساعاونها على تشييده ، اننى لم افكر من قبل فى ان اتزوج ولكننى الآن اتمنى من كل قلبى أن تقبلنى زوجا ، ان روحى قد أحبت روحها .. عشقتها .. هامت بها .. وجدت أخيرا ما كانت نفسى تشتهيه وتهفو اليه » .

وارتمى فى فراشه وسبح فى عالم من الرؤى العذاب ، وتردد فى جوفه صوتها وهى تقول : « ان كان شعرى لا يزال أسود ، فان الشيب قد نبت فى أغوار نفسى وجلل وجدانى » وهب من رقاده ثائرا وهو يقول : « لا ، لا ، أنها واهمة ، وهى دائما تضخم أوهامها ، لقد اصبت كبد الحقيقة عندما قلت له : انها مريضة بالوهم . ساشفيها من وهمها هذا ، ستذوب ثلوج مخاوفها تحت شمس حبى ، ساغذيها بالحنان حتى اقوى روحها وأعيد اليها ثقتها بنفسها التى زعزعتها الأحداث » .

وعاد مرة أخرى الى فراشه وتمدد فيه وهو يغمغم : « اننى

احبها .. اجل احبها على الرغم من ان عمر معرفتى بها لا يزيد على ساعتين ، ان مشاعرى لا يمكن ان تخدعنى وانا فى مثل سنى ، فقد تجاوزت مرحلة الطيش والاندفاع » .

وتقلب فى فراشــه وراح يفكر فى الارملة التى ملكت كل حواسـه ، وقر رأيه على أن يذهب اليها فى الغد يشرح لها فى بساطة حقيقة مشاعره ويطلب منها الزواج . وعلى الرغم من أنه قد استراح الى ذلك القرار فقد جافاه النوم ، واستمر طوال الليل يجتر أحداث الساعتين اللتين أمضاهما معها وهو مفعم بالغبطة والانشراح .

وتصرم الليل واقبل النهار ، فراح يتاهب للذهاب اليها خافق القلب يحس كأنما قد خلق خلقا آخر ، ولما اتم تأنقه هبط فى الدرج مسرعا ، وهرع الى سيارته وانطلق بها الى شارع القاهرة .

ووقف أمام محل منصور وقد اشتد وجيب قلبه ومشى الاضطراب فى أوصاله ، ونظر فى قلق الى البيت المواجه للمحل فالفاه من طبقة واحدة تعلو الدكاكين ، فهبط من سيارته ومرر لسانه على شفتيه ليذهب عنهما الجفاف الذى بدأ يحسه . ووقف برهة يسترد انفاسه المبهورة ويجمع شتات أمره ثم سار الى البيت لا يلوى على شيء ولا يلتفت خلفه .

وطرق باب الشقة طرقة خفيفة كانت أخف فى أذنيه من طرقات مشاعره الصاخبة المدوية ، ومرت لحظات ثم فتح الباب عنها .. كانت ترتدى ثوبا منزليا بسيطا وشعرها مسترسل على كتفيها ، ولما رأته تألقت عيناها ببريق خاطف وانفرجت شفتاها عن بسمة عذبة وقالت :

ـــ أهلا وسهلا .. تفضل .

وقادته الى غرفة الاستقبال ، وكان اثاثها بسيطا ولكنها كانت منسقة تنسيقا جميلا يئم عن حسن ذوقها ، وجلس وتحركت لتبدل ثوبها و هو تقول :

ــ لحظة واحدة من فضلك .

فقال وهو يزحف حتى حافة المقعد :

ــ أعرف اننى جئت فى وقت غير مناسب ، ولكن عذرى اننى لم استطع الصبر على ما اريد ان افضى به اليك .

واشار الى مقعد امامه وقال :

ــ اجلسى ارجوك ، ولن تستغرق زيارتى الا دقائق قليلة .

وقرات فى عينيه التوسل فجلست صامتة ، ونظر طويلا الى الهلالين الاسودين اللذين يحدان عينيها من اسفل ثم قال :

ــ لم افكر فى شىء مذ افترقنا حتى الآن الا فيك .

وأحس انها جفلت وان جاهدت لتخفى انفعالها ، فقال فى هدوء وان تهدج صوته :

ــ ارجو أن تسمحى لى ان اعبر عن نفسى فى صدق وبساطة ، اننى لم اذق طعم النوم البارحة ، أمضيت ليلى افكر فى كل كلمة خرجت من بين شفتيك وأحلل عواطفى فاهتديت الى اننى قد وجدت ضالتى ، لقد كنت عازفا عن الزواج أما بعد ان قابلتك فانى اشتهيه وأرجو أن تقبلينى زوجا .

وسرت فى جسمها قشعريرة وقالت فى صوت مضطرب :

ــ ان مأساتى قد مست مكامن العطف منك ، انك تعطف علىّ

فقال فى حماسة :

ــ ابدا ، اننى قد احببتك . احببتك حبا صادقا ، وانه لما يشرفنى أن تكونى لى زوجة .

فقالت في دهش :

ـ اتمرض الزواج على سيدة لا تعرف حتى اسمها ؟ !!

فقال وهو يدنو منها :

ـ وما يهمنى من اسمها اذا كانت روحى عشقت روحها ؟ اذا كنت قد احسست انني لها وانها لى ؟ انا واثق اننا سنسعد معا .. لا تستسلمي ليأسك ، حاولي ان تعاودى بنا عش جديد وان تملئيه حبا وسعادة . أنت زاخرة بأجمل ما في الوجود من مشاعر .. اسعدي بها .. حرام عليك ان تحطمي هناءك وهنائي .

فقالت له في انفعال :

ـ آسفة ان كنت لم اقدم لك نفسي بالامس ، انا جاكلين توفيق : انا مسيحية وانت مسلم .

ـ حتى هذا لا يحول بيننا ، انت مؤمنة بالله وانا مؤمن بالله ، الا يكفي هذا ؟ اجل يكفي اننا مؤمنان وان روحينا قد ائتلفتا . اقسم لك بحبى أن روحى لم تنجذب ابدا الى روح كما انجذبت اليك . اقبلى ما أعرضه عليك ارجوك من اجلى ومن اجلك .

فقالت وقد اطرقت واسبلت جفنيها على عينيها :

ـ آسفة لن اتزوج ابدا ، سأظل ما حييت ارملة من فلسطين .

فقال في انفعال :

ـ ان كل ما مر بك وهم من الاوهام ، أضغاث احلام .. أما الحقيقة فهى انني لك وانك لى ، لقد وجدنا نفسينا فلماذا نضيعهما .

ورأى الدموع تنهمر على خديها فعقد لسانه .. لم يكن يدرى اهى دموع الفرح ؟ اهى دموع الاسى ؟ اجرح شعورها لما قال لها ان كل ما مر بها وهم من الاوهام ؟ وجعل يرمقها في قلق فالفاها تمد له يدها وتقول :

ـــ ان كنت تبغى صداقتى فعدنى الا تعود ابدا الى هــذا الموضوع .

وظل ينظر الى اليد الممدودة اليه وهو حائر .. ايرفضها ؟ أيقبل شرطها الجائر ثمنا لصداقتها ؟ انه أصبح لا يستطيع العيش بدونها .. يكفيه أن يكون بالقرب منها ، وألفى يده تمتد الى يدها وتصافحها ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

ـــ قل اقسم بالاله الذى اومن به الا اعود ابدا الى هــذا الموضوع .

فقال فى صوت خافت زاخر بالأسى :

ـــ أقسم بالله العظيم الا اعود ابدا الى هذا الموضوع .

وأطرق ساهما ثم نهض مستأذنا ، فقالت له وهى تودعه :

ـــ تفضل فى اى وقت ، بيتى مفتوح لك .

وهبط الى الشارع ولم يتجه الى سيارته ، فقد راح يضرب فى الطرقات على غير هدى وهو ساخط على نفسه الآنة قبل أن يقسم ذلك القسم الغليظ بعد أن وجد من عشقتها روحه وخفق بحبها قلبه ، ولم ينقشع غضبه الا بعد أن راح يؤكد لنفسه بأنه سيحنث فى قسمه لو قبلته يوما زوجا لها ، وهو يأمل كثيرا فيما ستجرى به المقادير ، فلم يكن لقاؤهما عبثا .. وانها لقسوة أن يكتب عليه أن تصبح ليلة عرسه مأتم حبه .

كشك الموسيقى

رحت اضرب فى الطريق الهادىء وحدى وانا احتمى بالجدران من لسع الشمس . كان اليوم من أيام يونية القائظة ، وكنت فى طريقى لأول مرة الى منزل صديقى حمدى الذى دعانى للغـــداء عنده ، وهو صديق تعرفت به أخيرا ولكن سرعان ما توطدت بيننا أواصر الصداقة .

ووصلت الى الفيلا الانيقة القابعة فى نهاية الطريق وقد أولت ظهرها صحراء مصر الجديدة ، فوقفت أجفف عرقى واصـــلح هندامى ، ثم مددت يدى وضغطت على الجرس ، فما هى الا لحظات حتى أقبل خادم نوبى فى ثياب بيض ، وقادنى الى غرفة نسقت تنسيقا بديعا وقد زينت باوحات جميلة ، فغصت فى مقعد وثير وبدات عيناى تجولان فى الغرفة . ولكن بلغ اذنى وقع اقدام تقترب ، فالتفت صوب الباب فاذا بحمدى بقامته الطويلة ووجهه الاسمر وشعره الاسود اللامع يقبل على ويرحب بى وقد فتح ذراعيه :

ــ اهلا . . اهلا . .

وتصافحنا ، وما كدت اجلس حتى لمحت زوجته مقبلة ، واخذت المسافة التى تفصل بيننا تقصر ، واخذت ملامحها تتضح لى ، فاذا بقلبى يقفز فى شدة واذا بالدماء الحارة تتدفق فى عروقى ، واذا

بالعرق يتصبب من وجهى فاخرج منديلى واجففه ثم ادسه فى سرعة فى جيبى .

ونهضت ومددت يدى لاصافح يدها الممدودة الى وانا مأخوذ ، ومس اذنى صوت حمدى مسنا غريبا وهو يقول :

— زوجتى فتحية .. صديقى على .

فقلت فى صوت أجش يتحشرج :

— تشرفنا ..

وجلسنا وراح حمدى يتحدث ، ولكنى كنت مشغولا بالمشاعر التى استيقظت فى اعماقى وباختلاس النظر الى الزوجة ، وتلاقت عيوننا مرة فأشرق وجهها بابتسامة فخفضت من بصرى سريعا .. وقد ازداد وجيب قلبى وربا اضطرابى .

واستمر حمدى فى حديثه وأنا اشاركه بايماءة من راسى أو بسمة انتزعتها من بين شفتى ، ونهضت الزوجة وغادرت الغرفة فاذا عينى تتلصصان خلفها ، وغابت عنا قليلا ثم عادت تقول :

— تفضلا ..

فنهضنا وانطلقنا الى المائدة ، وجلست صامتة وكانما أراد حمدى أن يخرجنى من صمتى فقال :

— قرأت فتحية روايتك الاخيرة التى اهديتها لى ، وقد اختلفنا فيها ..

فدق قلبى فى عنف وارهفت حواسى ، وقلت وانا انظر الى حمدى :

— وفيم اختلافكما ؟

فقالت فتحية :

— قال حمدى انها قصة حياتك ، وقلت انها قصة من الحياة ولكنها ليست قصة حياة المؤلف .

فالتفت اليها وقلت متخابثا :

ــ وما الذى جعلك تقررين انها ليست قصة حياة المؤلف ؟ .

فاذا بها تقول فى ثبات دون ان يختلج لها طرف :

ــ ظهرت الصناعة فى بعض مواقف الحب ، بينا ان المؤلف الذى يروى قصة حياته يرويها فى بساطة وحرارة وصدق .

فقال حمدى فى ثقة :

ــ انها قصة حياتك ولا شك ..

فقلت وعيناى تنتقلان من وجه حمدى لتستقرا قليلا على وجهها :

ــ انها ليست قصة حياتى ، بل هى قصة حياة صديق عشت معه سنين طويلة ..

وساد الصمت لحظة تبادل فيها الزوجان النظرات ، ثم قالت فتحية :

ــ انى عاتبة على قصاصينا ..

فقلت وانا انظر اليها :

ــ لماذا ؟

ــ لان احداثا هامة كثيرة تمر بهم دون ان يسجلوها .

ــ لعل تلك الأحداث التى تظنيها ذات خطر ليست هامة من وجهة نظرهم ، فالحادثة الهامة عند القصاص هى التى تحرك وجدانه وتلهمه وان بدت لغيره من الناس تافهة لا تستحق التفاتا .

فقالت فتحية وهى تبتسم :

ــ ما قصدت غير هذا ..

فقال حمدى :

ــ اضربى لنا مثلا .

فمالت الى الخلف وقالت وهى تنظر الىّ بعينيها الواسعتين وقد توهج فيهما بريق :

ـ كشك الموسيقى فى حديقة الازبكية .. هل مررت به بعد ان شق الطريق الجديد الحديقة هل رايته وقد القى ذليلا ؟ الا تربطك به ذكريات حبيبة ؟ لماذا لا تسجل ما يبعثه الكشك فى نفسك من مشاعر واحساسات ؟!

ولمحت بسمة خبيثة تولد على طرف فمها ، فاضطربت واشتد وجيب قلبى وتفصد العرق منى حتى احسست به يجرى فى ظهرى ، وهممت ان اتكلم ولكننى لم اجد لسانى . وزاد فى ارتباكى نظراتها الخبيثة التى تنضح بها عيناها ، فأطرقت قليلا أستجمع نفسى التى ذهبت شعاعا ، حتى اذا ما افرخ روعى قليلا قلت :

ـ فكرة بديعة .

فاسترسلت فى حديثها :

ـ اظن انك عاصرت « صالة سانتى » وموسيقى الصياد .

ـ انى عاصرتها من غير شك ، واحسب انك سمعت عن هذه الحقبة ..

وفضحتنى نظراتى التى كنت اصوبها اليها فلم ترتبك بل ظلت هادئة وقالت فى ثبات :

ـ بل كنت شابة فى ذلك الزمن، وكنت اداوم على الذهاب الى حديقة الازبكية عصر يوم الاحد لاصغى الى موسيقى الصياد ..

وقال حمدى وهو يضحك :

ـ كل ما اذكره عن كشك الموسيقى اننى قرات فى الصحف يوما دعوة لاجتماع الراسبين فى البكالوريا عند الكشك وكنت من الراسبين ، فذهبت اليه لاجتمع برفقائى الخائبين .

والتفتت الى فتحية وقالت :

ــ لماذا لا تكتب للسينما قصة حياة الصياد ؟ . .

فقلت فى دهش :

ــ اتظنين ان حياته تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ؟

فقالت وهى تنظر الىّ فى استخفاف :

ــ وهل كانت حياة فيليب سوسة تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ، انظر ماذا فعلوا من موسيقاه ، انهم يقدرون فنانيهم ويتفننون فى ابراز جوانب عظمتهم .

ــ كان من الميسور على واضع قصة حياة سوسة ان يجد قصة حب تدور حولها القصة أما من يتصدى لكتابة قصة حياة الصياد فسيقاسى الأمرين اذا ما فكر فى قصة الحب التى سينسج حولها روايته ، لأن المرأة المصرية فى عصره لم يكن لها أثر فى المجتمع . .

ورمتنى بنظرة فهمت مرماها فاطرقت وراح العرق يتصبب منى ، وكأنما عز عليها أن تتركنى أتنفس فقالت فى سخرية :

ــ من يسمعك يحسب أن الصياد وجد فى القرن التاسع عشر ، اننا ــ أنا وانت وحمدى ممن عاصروه ــ او ليست لأحدنا قصة حب يمكن أن تكون الخيط الذى ينسج منه المؤلف قصة حياة الصياد ؟ .

وخفق قلبى فى شدة ، وانتشر القلق فى جوفى فأطرقت لاتحامى نظراتها التى كانت تزيد فى ارتباكى . وساد الصمت برهة كأنما كان كل منا يستجمع قواه للجولة الثانية ، واذا بصوت حمدى يقطع السكون فيقول :

ــ على ذكر الحب ، قل لى ما هى دلائل الحب ؟

فقلت وأنا أتصنع الهدوء :

ـــ هي أن نتلمس المعاذير لأخطاء من نحب .

فقالت متحية دون أن تضطرب أو يتهدج صوتها :

ـــ بل خير دليل على الحب هو الفرار ممن نحب .

فأخذت وأحسست جفافا في حلقي ، وخيل الي أنني اصبحت كفأر في مصيدة فجعلت أتلفت دون سبب وعقد لساني ، ومن حسن حظي قال حمدي منفعلا :

ـــ لا ، هذا ليس رأيك في الحب ، هذا راى جديد .

فقالت له وهي تبتسم :

ـــ انك تعرف أنني لا احب الجمود ، وانني من عشاق التجديد في افكاري ..

ورأيت ان أشترك في الحديث حتى لا يفطن حمدي الى ما اعتراني من اضطراب ، فقلت له وأنا اتكلف الابتسام :

ـــ وماذا كان رأيها في الحب قبل الساعة ؟

فقال حمدي وهو يرمقها بطرف عينه :

ـــ كانت ترى ان الهدية هي خير معبر عن الحب ..

فقالت وهي تضحك :

ـــ ما ايسر الربط بين الرايين ، في فورات الحب الاولى يكون الفرار ممن تحب دليل الحب ، أما اذا هدأ الحب واستقر فالهدايا هي مقياس الحب ..

فقال حمدي في حماسة :

ـــ انني لا أوافق على هذا ابدا .

ـــ قل الصدق ولا تكتمه ، أما كنت تهابني وتحاول ان تفر مني بعد أن تعارفنا قبل ان نتزوج ؟

فأحسست قلبي يغوص في قدمي والدماء تتدفق حارة في

شراييني ، واتسعت عيناى ولفنى اضطراب ولم اقو على كتم ما بى ، فدفعت الكرسى الى الخلف ونهضت فقال لى حمدى :

— كل .. انك لم تاكل شيئا .

فقلت فى صوت متهدج :

— شكرا فقد شبعت .

وانسحبت بعيدا لأهرب من نظراتها التى كانت تعبث بى ، وتخز روحى ، ولاجمع شتات نفسى وأتأهب لتلقى لذعاتها التى كانت تسددها الى كالسهام .

وانتقلنا الى غرفة الاستقبال واسترخيت ، وكانما عز عليها أن تدعنى أستريح فأدامت النظر الى ثم قالت :

— يخيل الى أننى رايتك قبل اليوم .

فاعتدلت مذعورا .. اننى أعرفها جريئة ولكنى ما كنت أظنها تتمادى الى هذا الحد ، ظننت ساعة أن قدمنى زوجها اليها أن السنين الطويلة التى/تقضت منذ كنا جارين صغيرين نلهو ونعبث قد بدلتها ، فاذا بها ما زالت طائشة كعهدى بها فقلت :

— لا أظن أننا تقابلنا قبل اليوم .

وهمت بالكلام ، وتلاقت عيوننا فقرات فى عينى توسلاتى اليها أن تكف عن ذلك العبث فلم تأبه بى ، بل استمرت فى وخزى وقالت :

— لعلى رأيت صورتك فى كتاب من كتبك .

فقال حمدى :

— انه لم ينشر صورته فى أى من كتبه ..

ورأيت أن خير ما أفعله ألا أترك لها فرصة للحديث ، فعزمت على أن أثرثر وأن أستمر فى الثرثرة ، ثم استأذن فى الانصراف

قبل أن ترميني بأسئلتها الخبيثة التي تشيع الاضطراب في أوصالي فقلت :

— لست من المؤمنين بنشر صور المؤلفين ، فالقراء يرسمون للمؤلف في أخيلتهم صورة ما فاذا ما رأوا صورته صدمتهم الحقيقة ، انني اذكر انني كنت في احدى المكتبات يوما وقت أن جاء أحد أصحاب المكتبات المراقبين يشتري بعض كتبي . كان يطلب بعض مئات من كل كتاب ، وظن عامل المكتبة انه اذا قام بتقديمي الى الرجل فانه يسدي الى خدمة ، فقال للرجل وكان يرتدي جبة خضراء وعمامته خضراء تزين وجهه لحية سوداء مستديرة :

— حضرته مؤلف هذه الكتب .

فالتفت الرجل الىّ ثم قال في انكار :

— أبدا ، ان مؤلف هذه الكتب رجل مسن ذو لحية بيضاء .

واصر عامل المكتبة على انني المؤلف .. وبانت في ملامح الرجل خيبة الأمل . ثم ظهر الأثر العملي لكشفه شخصيتي فهبط العدد الذي كان يطلبه من كتبي الى رقم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة عددا .

ثم التفت اليها مضطربا فاذا بها تتحفز للكلام فتقاصرت الى نفسي وانكمشت ، وقبل أن تتحرك شفتاها نهض حمدي وانصرف من الغرفة وتركنا منفردين ، فقالت في هدوء :

— ماالذي جاء بك اليوم ؟

— دعاني حمدي للغداء .

— أكنت تعرف أنك ستلقاني .. ؟

— لم يدر بخلدي ..

فقالت هازئة :

ـــ انا واثقة من ذلك ، فلو كنت تعرفة ما جئت .

ـــ لماذا ؟

ـــ لانك ما زلت تخشانى . . تفضل الفرار منى على مواجهتى .

فقلت فى ارتباك :

ـــ ابدا . .

فقالت فى دهش :

ـــ ماذا دهاك ؟ اين لسانك الذرب الذى كان يطلق السباب كالقذائف ؟

فقلت فى تخاذل :

ـــ ادركه الهرم . . اصبح يتعثر .

ولمحت حمدى مقبلا فنهضت مستاذنا فى الانصراف ، وصافحته ثم مددت يدى اليها فاحسست يدها تضغط على يدى ، وخيل الى ان عينيها تصيحان بى فى هزء :

« ما زلت تخشانى . . ستفر منى كما كنت تفر » .

فارتبكت وغضضت من بصرى ، واذا بصوتها يمس اذنى هادئا وان اوحت ذبذباته بالسخرية :

ـــ نرجو ان تشرفنا بزيارتك .

فغمغمت :

ـــ متشكر . . متشكر .

ثم انصرفت وانا مضطرب النفس ماخوذ ، ترن فى اذنى لذعاتها ، وتتخايل لعينى بسماتها ، فترتفع حرارتى ويربو اضطرابى .

وبلغت دارى وتمددت فى مقعد طويل ، فاذا بخيال فتحية يحتل راسى ، واذا بصوتها يرن فى اغوارى « كشك الموسيقى . .

صالة سانتي .. موسيقى الصياد .. خير دليل على الحب هو الفرار ممن تحب .. انك تفضل الفرار منى على مواجهتى » .

وطفت الذكريات على سطح ذهنى وتهتكت أسجاف الماضى ، فاذا بى أرى فتحية بقامتها المتناسقة وقد ثبتت — كعادتها — قاعدة حقيبة كتبها على طرف عجيزتها وأسندتها بذراعها ، تنطلق رشيقة كالغزال فى الطريق الموصل الى دارينا ، فقد كانت دارها على مرمى حجر من دارنا .

ورأيت نفسى أسير على بعد خطوات منها أختلس النظر الى بديع تكوينها ، كانت فى السادسة عشرة ، معتدلة القامة سوداء الشعر والعينين خمرية اللون ، تمتاز بأنوثة طاغية .. وكنت فى السابعة عشرة تتأجج فى صدرى ثورة عارمة يكبح جماحها ذلك الخجل الذى كان يستبد بى ويعقد لسانى اذا ما تلاقت عيناى بعينى فتاة !

وجدت نفسى أمام فتحية وجها لوجه أكثر من مرة ، قابلتها وهى خارجة من مدرستها الفرنسية فتظاهرت بالارتباك لسيرها وسط فتيات صغيرات ، ثم ابتسمت لى ولكننى لم أجرؤ على أن أبادلها الابتسام وان كنت فى قرارة نفسى اشتهى ذلك واتمناه .

وتلاقينا مرة فوق سطح دارنا ، فجعلت تغدو وتروح أمامى فى ثوب منزلى بسيط يبرز مفاتنها ، فثارت مشاعرى وراودتنى فكرة تحيتها والتقدم اليها لأنعم بحديثها ، ولكن خجلى أورثنى ضعفا فراح قلبى يدق فى عنف وسرى فى بدنى اضطراب . وكأنما ارادت أن تشد أزرى فبدأتنى بالتحية ، فأومأت لها برأسى وماتت على شفتى الكلمات .

والتقينا ذات ليلة مصادفة فى الطريق الهادىء الموصل الى

دارينا ، كنت عائدا من السينما وكانت تسير على بعد خطوات مني ، والتفتت خلفها فلمحتني فخففت في خطوها لألحق بها واحييها واجاذبها الحديث ، فما كان في الطريق غيرنا ، ولكن شجاعتي خانتني وانتشرت الرهبة في جوفي وخفق قلبي وسرى في بدني الاضطراب ، فضيقت خطاي حتى دلفت الى دارها ، وزحفت الى داري وانا حانق على نفسي ضائق بذلك الضعف الذي يستبد بي كلما هممت بمحادثة فتاة !

وضاقت فتحية بخجلي ولم تستطع الصبر حتى تحل عقدة لساني ، وما كانت تستطيع أن تعيش بلا صديق فتوطدت بينها وبين فريد أحد رفاقي أواصر الصداقة .. صارا يخرجان معا اذا اقبل المساء يجولان في الطرقات التي تعجز المصابيح الخافتة عن تبديد ظلامها ، او يذهبان الى السينما ، وقد رايته اكثر من مرة يتابط ذراعها فكأن قلبي يدوي في عنف بين ضلوعي ، وامر متسللا خشية أن يلمحاني ! ..

ورايتها ذات يوم تدخل بيت صديقي في وضـــح النهـــار ، فأحسست غصة في حلقي ومرارة في فمي ، ثم لويت شفتي في اشمئزاز ..

والتقينا بعدها وجها لوجه فلم أضطرب ولم يخفق فؤادي ولم تتدفق الدماء حارة في عروقي ، ولأول مرة حلت عقدة لساني فركبتها بسخريتي حتى وسمعت خطوها فرارا مني ، وخيل الي انني لم اعد أهابها بعد أن تقوض الصرح المقدس الذي اقمته لها في خيالي .

وسئمت فريد فهجرته ، وسرعان ما صادفت فهمي بعد أن تركت فريد يتلظى بنار البعاد ، وكانت ترقبه وهو يذرع الطريق جيئة

وذهابا تحت شباكها وهو محطم القلب فكانت تشمخ برأسها فى استعلاء ، أرضى غرورها أن تجد شابا مطرودا من نعيمها يتهافت عليها تهافت الفراش فى النار !!

وصعدت يوما الى سطح دارها ، وما هى الا دقائق حتى لمحتها صاعدة فلم تسر فى بدنى تلك الرعدة التى كانت تسرى فيه كلما رأيتها ، وكانت فى يدى وردة حمراء فشممتها ووضعتها على سور السطح ، واقتربت منى وحيتنى فرددت عليها تحيتها وأنا اتظاهر بعدم الاكتراث ، ولمحت فى صدرها دبوسا على شكل حرف (ف) فقلت لها فى سخرية :

— أيرمز هذا الدبوس الى فريد أو الى فهمى ؟

فراحت تسير أمامى وهى تتمايل فى دلال ، فبدأت الدماء الحارة تتدفق فى عروقى وثارت فى نفسى رغبات ، ولكننى أخذت فى كبح جماحها وقلت :

— يخيل الى انك تختارين أصدقاءك ممن تبدأ أسماؤهم بحرف (ف) .

فقالت وهى تسير فى خطوات اقرب الى الرقص :

— وماذا فى ذلك ؟

— لا شىء . . كل ما فى الأمر أننى احمد الله أن اسمى لا يبدأ بهذا الحرف ! . .

وبالغت فى تمايلها فراح كل ما فيها يرقص ، فقلت لها وأنا احاول أن أبدو هادئا :

— قد يدير هذا الدلال رأس فريد أو رأس فهمى .

وفى الحق بدأ رأسى يدور ، ولو طاوعت نفسى لضممتها الى صدرى . . ولكننى كنت أصارع مشاعرى المتفجرة فى أعماقى ،

ومدت يدها وأخذت الوردة وراحت تقطف بعض اوراقها فقلت لها :

ـــ وماذا تفعلين ؟

ـــ أهذبها ، وارجو أن أوفق فى تهذيب صاحبها .

فقلت لها وأنا ابتسم فى استخفاف :

ـــ هيهات . .

وقدمت الى الوردة فأخذتها منها ، وكدت أضعف واستشعرت ان مقاومتى كادت تنهار ، فقذفت بالوردة من السطح ثم وليت الفرار . .

وخرجت مع فهمى فى الليل والنهار ، وانطلقنا معا يجوبان الطرقات الهادئة وقد تشابكت الأيدى وهمست الشفاه وتحدثت العيون . . ومرت الأيام ودب السأم فى نفسها فطردت فهمى من جنتها وراحت تنقب عن عابد جديد . .

وفى يوم وقفة عيد الأضحى صعدت الى سطح دارها ، فالفيتها تلف ذراعها حول رقبة خروف العيد فقلت لها :

ـــ لابد أن اسمه يبدأ بحرف « ف » . . فيفى مثلا .

فقالت وهى تنظر الى بعينيها السوداوين النجلاوين :

ـــ ولماذا ؟

ـــ لأنه صديقك الجديد .

فابتسمت وقالت :

ـــ أتغار منه ؟

فقلت فى قسوة :

ـــ ليس بينى وبينك ما يدعو الى الغيرة ، ولكننى اعجب .

ـــ تعجب من ماذا ؟

ـــ من استبدالك خروفا بخروف ، وان اخيرهم لخيرهم جميعا .

فلم تغضب ، بل ابتسمت وقالت :

— ولماذا ؟

— لأنه ليس له عقل ليفطن الى انك تدللينه ثم تذبحينه .

فلاح الغرور في عينيها وقالت :

— انني لا افعل ذلك الا مع الخراف .

وراحت الشمس تغيب في الأفق البعيد ، فسارت صوب السلم لتهبط فيه ثم التفتت الي وقالت :

— كل سنة وانت بخير . .

— وانت بخير . . والسنة اللي جايه تضحين باربعة خرافة !

وانقضى العيد ، وفي ذات ليلة سرت تحت شباكها دون ان المحها واذا بصوتها يمس اذني :

— اتمر هكذا دون ان تلقي تحية ؟ . .

فوقفت ورفعت رأسي اليها فرأيت على ضوء المصباح الخافت بسمة رقيقة تولد على شفتيها فقلت :

— مساء الخير .

— مساء النور . . غدا في العاشرة صباحا سأنتظرك عند كشك الموسيقى بحديقة الأزبكية .

وانطلقت في طريقي وقد اخذ قلبي يخفق بين ضلوعي وأرهفت حواسي ، وهب شيطاني يزين لي الذهاب للقياها والنعيم بقربهـــا وليكن بعد ذلك ما يكون . .

ودخلت فراشي وانا قلق أرق يتنازعني وجداني واصخت سمعي لصوت عقلي فراح يقول لي : انها ستذيقك طعم السعادة اياما ثم تلفظك لفظة النواة وتتركك حليف الضنى والسهاد وهي تنظر اليك متلذذة سعيدة بلوعتك منتشية لانتصارها عليك ، فلماذا

تنقاد اليها لحظات هنية يعقبها حسرات طويلة وهم مقيم ، فأشتر الكثير بالقليل .

وبت تلك الليلة وأنا اتقلب فى فراشى كأنما اتقلب على جمر وان كنت قد عزمت فى أعماقى على الفرار منها لأنجو بنفسى .

وأشرقت شمس اليوم الموعود فاذا بشيطانى يستيقظ ويوسوس فى صدرى ويغرينى بالذهاب ، فاليوم لنا وغدا يتكفل بنفسه . وخشيت أن ينتصر على شيطانى فصحت فيه : لن أسير بقدمى الى حظيرة الخرافه ابدا .

وهبت حواسى تشد ازر شيطانى فاذا بمشاعر رقيقة حالمة تنبثق فى إغوارى ، وخفت ان تندك مقاومتى وأن يقودنى ضعفى الى حتفى بظلفى فهرعت الى ابى الوذ به ، قلت له :

— فى سينما تريومف رواية رائعة واليوم آخر أيامها ، أرى أن نذهب لمشاهدتها فى عرض الساعة العاشرة .

وما زلت به حتى وافق فأفرخ روعى ، فلن يقو شيطانى على ان يقودنى اليها بعد أن ارتبطت مع ابى بميعاد !!

وفى عصر ذلك اليوم أحسست رغبة فى الانطلاق الى حديقة الأزبكية ، فذهبت الى هناك واتجهت الى كشك الموسيقى ورحت اصغى الى موسيقى الصياد وفى القلب فرحة ، فقد أسعدنى أننى اغدو واروح طليقا واننى لم اسلم لها زمام امرى لتقودنى الى الذل والهوان ..

وهمس فى أغوارى هامس : ان مجيئك الى هنا دليل على انك أسيرها .. لماذا جئت الى كشك الموسيقى وما كنت تذهب اليه من قبل ؟ لقد استجبت لوحيها ، فاذا كنت قد هربت منها فى الصباح

فقد جئت في المســاء . وضقت بذلك الهامس فأخذت أحاول اسكاته ، وطفقت اسعى لأقنع نفسي أنني نشوان .

وتحاشيت مقابلتها فلم اعد أصعد الى سطح دارها ، وصرت امر من طريق آخر غير ذلك الطريق الذى تطل عليه نافذتها المفضلة . وكنت ارى من شرفتى فريد وفتحى وهما يحومان حول دارها ذليلين حطمهما الهوى ، فكنت احمد الله انني لم اذعن لشيطاني وارتمى فى احضان تلك الفتنة العابثة الماتبة !!

والتقينا مصادفة وجها لوجه ، فسرت رعدة فى اوصالى وراح قلبي يدق فى رعونة ، واستشعرت جفافا فى حلقى واضطربت انفاسي واتسعت عيناى .. وحيتنى بايماءة من رأسها واشرق وجهها بالابتسام ، وانطلقنا جنبا الى جنب . لم تعاتبنى لأنني لم اذهب الى كشك الموسيقى فى الميعاد ، ولم تشر الى ذلك الموضوع من قريب أو بعيد كأنما لم يحدث مني شيء ، فانتظم نفسي ورد الى طبعي ، وظللنا فى سيرنا حتى دنونا من دارها فقالت لى :

— انني ذاهبة الليلة لسماع ام كلثوم فى صالة سانتى .

وفطنت الى أنها تواعدني على اللقاء هناك ولكنني لم انبس بكلمة . ودلفت الى دارها بعد أن حيتنى ، وانطلقت الى دارى وأنا هادىء النفس لم يستيقظ شيطاني ، وظلت مشاعرى فى سبات ولم يصبح صدرى مسرحا لصراع رغباتى المتضاربة ، فما كنت فى ذلك الوقت أجرؤ على المغيب عن الدار بعد التاسعة مساء !! ..

وفى عصر اليوم التالي هرعت الى حديقة الأزبكية وصعدت الى صالة سانتى وجعلت اتجول فى جنباتها ، وتقضت أيام واستشعرت حنينا اليها ، واستبدت بى رغبة مقابلتها فهممت بالذهاب الى سطح دارها ، وانتهز شيطانى فرصة استنامة كبريائى

فراح يحرضني على البوح لها بحبي . وكدت اركن الى وسوساته واذا بمتاومتي تهب من رقادها تصرخ بي ان أضع حدا لضعفى وان اقضى على ذلك العبث لانتشل نفسى من البوار ..

وفكرت وأمعنت الفكر ودبرت كل شيء ، حتى اذا ما خيم الظلام خرجت أنقب عن فتاة كنت أعرفها ، فلما قابلتها سرت معها وانا اقودها لانفذ ما دبرت .

ووصلنا الى الطريق الهادىء الذى تطل عليه نافذتها فاستشعرت رهبة وكدت أدور على عقبي واعود من حيث جئت ، ولكني اخذت أتقدم حتى وقفنا تحت المصباح القريب منها . ولمحتها تنظر الينا فاضطربت ولكنني لم احجم عن انفاذ ما حزمت عليه أمرى ، فضممت الفتاة الى وقبلتها .. فاغلقت فتحية شباكها فى عنف ، فأثلج صدرى واحسست احساس الناجى من الغرق بعد ان حسبت ان كل ما بيني وبينها قد انتهى ..

ولكن تصرمت الأيام ولم تخمد ثورة روحى ، بل كانت تزداد تأججا وضراما .. وطغى وجدى واستبد بى شوق فوطدت العزم على الذهاب اليها ابثها حبى ، واروى ذلك الظما الذى احسه فى اغوار مشاعرى .. فلماذا أحكم على نفسى بالموت عطشا والرى مبذول لى ؟!

وارتديت ثيابى وبالغت فى تأنقى ، ثم هرعت الى دارها خافق القلب . وقبل ان اصعد الى السطح علمت انهم رحلوا وغادروا الحى ، فانصرفت منقبض النفس كسير الفؤاد ..

رحت أنقب عنها فى كل مكان .. كنت اذهب الى حديقة الأزبكية فى الغدو والآصال لعلى القاها ولكن هيهات ، وكنت كلما ذهبت الى السينما ادور بعينى فى ارجائها أبحث عنها هنا وهناك

دون جدوى ، فدب اليأس في قلبي وحقدت على نفسي وتمنيت لو انني أطعت شيطاني ورويت ظمأ روحي واسترحت مما أنا فيه من عذاب ، فالنار التي تتلظى في أحشائي اشد قسوة من نار الهجر بعد الوصال .

ووطنت النفس على ان اعب من كاسها اذا قابلتها ولن أحفل بما يكون — فقد كان كل همي أن أسكت هواسي التي كانت تؤرقني وتخزني بخزا ما اقساه ..

وتقضت السنون ، وقد غابت عني كما تغيب القطرة في المحيط ... ولم تجمعنا الا صدفة اليوم . كنت أحسب ان عاطفتي نحوها قد ماتت فاذا بلقائنا يؤكد لي ان النار الخابية تحت الرماد سرعان ما تتأجج اذا نفخ فيها نافخ أو حركها عود .

وخطر لي خاطر خفق له قلبي : ترى لو دعتني بعد تلك السنين الطويلة التي تفصل بيننا ، أأهرع اليها ملبيا دعوتها ؟ . وهززت راسي لأفيق من الحلم الذي عبث بأوتار فؤادي ، وجعل الدم الحار يتدفق في عروقي بعد طول ركود .

واسدلت ستار النسيان على ذلك الماضي ، ولكن ما ان مرت ثلاثة أيام على لقائي بها في بيت زوجها حتى دق التليفون في مكتبي ، واذا بصوت رقيق يمس أذني .. فاضطربت وانبهرت انفاسي وتصبب العرق مني .. كانت فتحية تخبرني انها ذاهبة وحدها في المساء الى سينما كريستال ، فلما سألتها عن حمدي انبأتني انه غائب الليلة فقد سافر الى الاسكندرية .

ووضعت سماعة التليفون وأنا خافق القلب ، وراحت الأفكار تنثال على راسي .. واستيقظ شيطاني يصرخ بي أن الفرصة التي عشت أرقبها سنين طويلة قد سنحت فعلى الا أدعها تنساب من بين

اصابعى ، وأن أروى عطشى واشبع جوعى واطفىء تلك النار المتاججة فى أحشائى ، فاستقر رايى على أن اذهب للقياها ..

وبدأت الشمس فى الغروب فانتابنى قلق ولفتنى حسيرة ، وارهفت حواسى ودق قلبى وجعلت ازفر فى صسوت مسموع ، وانبثقت فى جوفى مشاعر متباينة متصارعة ، فانطلقت الى زوجتى لانتشل روحى من تلك الدوامة التى ادور فيها وقلت لها .

ـــ اننا ذاهبان الليلة الى سينما متروبول .

وخرجت انا وزوجى وسرنا فى الشارع الجديد الذى شق فى حديقة الازبكية ، فلما وقع بصرى على كشك الموسيقى الملقى على جانب الطريق فى اهمال كامرأة عجوز ، احسست غصة فى حلقى ودمعة تترقرق فى مقلتى .. وانطلقت صامتا أمضغ حزنى وحدى .. حتى اذا بلغنا شارع فؤاد وقفت زوجى تنظــر فى واجهات المحال .. ووقع بصرى على مرآة قريبة منى فأدمت النظر الى وجهى ، فلما لمحت تلك الشعرات البيض التى نبتت فى رأسى استشعرت أسى ، وتيقنت أننى أصبحت أعيش على هامش الحياة ككشك الموسيقى القابع الآن فى ذلة على جانب الطريق .. بعد أن كان ينبض بالقوة ويبعث فى النفوس الآمال ..



الجوع

ــ شريفة .. أليس عندك ما آكله ؟ انى أموت من الجوع .

ودوى الصوت فى جنبات الحجرة ــ وان كان قد خرج من بين شفتى الأم العجوز التى جدل الشعر الأبيض رأسها وكسا الهزال عظمها ــ خافتا واهنا ، والتفتت شريفة بعينين زائغتين الى حيث كانت أمها وصراخ بطنها يطغى على جلبة السيارات وجلجلة الترام وضوضاء العربات المنطلقة فى شـــارع الفجالة ، والتى كانت عجلاتها ترى من النافذة الوحيدة العالية التى يتسلل الضوء منها ، فقد كانت الغرفة ضاربة فى بطن الأرض ينزل اليها بدرجات من حجر أكلته الأقدام الحافية والأحذية البالية .

ونهضت شريفة فى تراخ .. وكانت على يقين من أن البيت قد خلا من كل ما يؤكل ، فقد بحثت وتثبتت بالأمس لما جن الليل عن كسرة خبز ولم تجد شيئا .. ونامت طاوية وقد ضغطت بطنها ببطن أمهاالخاوية ، بيد أنها راحت تتلفت فى يأس فلم تر الا الجنادب تندفع من الثقوب المنتشرة فى كل مكان من الجدار الى الحصيرة الممزقة التى تغطى جزءا من الأرض السوداء ، تجذب

منها اعوادا تحملها الى جحورها ، وصفوفا من النمل فى غدو ورواح ورواح فى حركة دائبة .

وطافت بأرجاء الحجرة .. والتقت عيناها الذابلتان بعينى امها اللتين كان يبيض سوادهما فغصت وسرى بين ضلوعها البارزة من تحت جلدها يأس مرير .. الا انها لم تستسلم له ، بل ذهبت وهى تجر نفسها جرا الى الصنبور وفتحته واخذت تغسل وجهها بالماء القراح ، فقد ذابت آخر قطعة من الصابون عرفت طريقها الى هذا الخندق منذ شهور . منذ أن قطعت كل صلة تربطها بالبقال القريب من مسرح مأساتها .

ومدت يدا نفرت عروقها وتناولت مشطا لم تبق به الا اسنان قليلة ، ونظرت الى وجهها فى بقايا مرآة كانت مثبتة فوق صنبور الماء ، وراح المشط يتخلل شعرها وهى شاردة ، ولمحت هلالا اسود يحف بأسفل عينيها فدق قلبها فزعا .. انها لم تبلغ الخامسة والعشرين بعد وقد غاض لونها ولاح الجهد فى كل أجوف وفى كل بارز من محياها : « ما هذا الاصفرار يا شريفة ؟ شفتاك جفتا وتشققتا .. عيناك خبتا .. أين بريقهما ؟ » . وفرت من أمام المرآة كأنما تفر من شبح .

وراحت تخلع ثوبها الممزق فى تخاذل ، والقت نظرة سريعة على قميصها فوقعت عيناها على ثقوب انتشرت به . وفكرت فى أن تستبدل به آخر ولكنها تذكرت انها لم تخلع ذلك الآخر الا بعد أن صار كالجلد من العرق الغزير الذى امتصه ولم تجد معها ما تشترى به صابونا لتغسله . فضغطت بيدها على القميص تبسطه ، ثم ذهبت الى حيث تحتفظ بالثوب الوحيد الذى تخرج به وتناولته واخذت تلبسه فى حرص .

ورأت الأم ابنتها وهى تسبل ثوب الخروج على الأسمال الملتصقة بجسدها ، ففطنت الى ما تعتزم أن تفعله ، فنهضت اليها وسارت تجر نفسها وتقول :

ــ انى ذاهبة معك يا شريفة . .

وصمتت شريفة ولم تعترض على خروج أمها معها وإن كانت على يقين من أن ذلك الخروج لا جدوى منه ، بل انه يعوق حركتها وقد يضيع الفرص القليلة التى تلوح لها . كانت تفهم ما يدور برأس العجوز . . انها فى لهفة على أن تطمئن الى أن شيئا ما وشيك الدخول الى جوفها ليكتم أنفاس ذلك الغول الذى ينهش حشاياها .

وخرجتا الى بئر السلم ولم تحسا رطوبة المكان ، ولم تزكم أنفيهما الرائحة العفنة التى تفوح منه ، ولم تنكرا الظلام الذى تراكم بعضه فوق بعض وإن كان النهار قد انتصف . فالظلام الذى ران على روحيهما أثقل من أى ظلام ملأ عيون البشر .

وراحتا ترقيان السلم فى هوداة وان كانتا تترنحان من الوهن خشية أن تزل القدم ، وخرجتا الى الطريق فبهر الضوء عينى شريفة ، بينما لم تستشعر الأم شيئا فقد أسبلت جفنيها على عينيها اللتين كاد سوادهما أن يذهب ، بعد أن علقت ذراعها فى ذراع ابنتها وتركتها تقودها الى حيث اعتادتا أن تقفا فى مثل هذه الساعة من النهار .

وولتا وجهيهما شطر ميدان المحطة ، وما سارتا خطوات حتى كانتا أمام دكان العم سليمان البقال فألفت شريفة نفسها عاجزة عن أن تكبح جماح عينيها من أن تلتفت اليه . كانت فى قرارة نفسها تمقت أن ترى سحنته البغيضة التى زاد فى النفور منها ذلك الأنف الضخم ، والعينان الضيقتان اللتان تشعان خبثا ، وتلك الحفر

الصغيرة المنتشرة فى وجهه التى تركها الجدى خلفه ، بيد أن شيئا ما فى اعماقها يرغمها على ان تلوى عنقها نحوه .

رأته بكرشه البارزة وجلبابه الذى يغطى الزيت صدره ، وشاربه الذى تركه يملأ وجهه دون ان يخطر على باله أن يهذبه مرة ، وجاهدت حتى أشاحت بوجهها عنه ووسعت من خطوها وراحت تجر أمها التى اسلمت لها قيادها ، ولم تلتفت ناحية دكان العم سليمان وتبصق كما اعتادت أن تفعل كلما مرت به ، فقد أمات الجوع كل رغبة وقضى على كل شهوة من شهوات الجسد الا شهوة طلب القوت الذى يمسك الرمق .

ووصلتا الى دكان السماك فاذا بهما تتمهلان فى سيرهما ، ونفذت رائحة السمك الى خياشيمهما فسال لعابهما .. ومررت الأم لسانها على شفتيها الجافتين ومدت عينيها الى حيث تشتهى ، فاحست بكيانها كله يهفو الى تلك القطع التى تكدست امام السماك والتى تركزت فيها كل شهواتها وآمالها .

وأحست شريفة ما أحست به أمها ، وشعرت كأن يدا قوية لا قلب لها تعتصر أمعاءها اعتصارا ، وبللت الدموع مقلتيها وراحت تبلع ريقها لتريح تلك الشوكة التى خيل اليها أنها واقفة فى حلقها ، ثم جذبت أمها فى رفق وهى تقول فى صوت خافت مضطرب :

ــ سنشترى سمكا عند عودتنا .

واستأنفتا سيرهما . « واين النقود يا شريفة ؟ ! انك خرجت بالأمس كما تخرجين اليوم وكنت تأملين أن تعودى وفى يديك ما يكفيكما اياما وقد عدت بلا شىء .. كنت بالأمس سيئة الحظ .. أما اليوم فسأعود بما اشترى به السمك . لن يتخلى الحظ مرتين .

السمك ! رائحته اروع من ازكي عطر . طعمه اشهى .. اتذكرين طعمه يا شريفة ؟ ! رائحة العم سليمان نتنة ، طعمة .. » وتقلصت عضلات وجهها واحست رغبة فى أن تبصق ولكنها لم تفعل .

ووصلتا الى ميدان المحطة ووقفتا على الطوار بالقرب من اشارة المرور وراحتا ترقبان السيارات فى اندفاعها وترصدان اشارة المرور ، حتى اذا ما اضاء النور الاحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ابتعدت الام عن ابنتها وان كانت ترعاها بعينيها وعيون خوالجها وجوارحها ومشاعرها ، فقد أزفت اللحظة التى يتقرر فيها مصيرهما .

وراحت شريفة تستعرض السيارات فى قلق ولهفة ، ورأت شابا جالسا خلف عجلة القيادة انه وحده . « هذا هو بغيتك يا شريفة . سيارة فاخرة . انه غنى . سيدفع جيدا » وأشارت له بيدها ملوحة « انه يبتسم لك يا شريفة .. أسرعى .. اسرعى قبل أن تفتح اشارة المرور » .

واندفعت شريفة صوب السيارة وأمها ترقبها واجفة القلب ترجو بكل جوارحها ان توفق ابنتها فى يومها هذا حتى لا تموتا جوعا .. شريفة تمرق بين السيارات .. انها تدنو من السيارة الحمراء ، ها هى ذى يدها على مقبض الباب .. ستفتحه .. ستفتحه وتقفز .. وى .. وى .. فتحت الاشارة .. السيارات تتحرك .. السيارة الحمراء سارت .. شريفة ! .. شريفة ! .. شريفة ! .

وأخذت شريفة تجاهد لتعود الى الطوار دون أن تدهمها السيارات ، وأمها ترقبها فى خوف شديد وجسدها الواهن يضطرب اضطرابا ، وكادت تند منها صيحات جزع ، بيد أن شريفة استطاعت

أن تنفذ من الأخطار وتعود الى حيث وقفت أمها تنتفض . وما مرت لحظات حتى أخذتا ترصدان اشارة المرور مرة أخرى بعد أن انطلقت السيارة الحمراء فى طريقها وغابت عن عيونهما .

وركزت شريفة بصرها على الاشارة الحمراء . وسرعان ما شردت ورأت نفسها فى محل الخردوات الذى كانت تعمل به . اتضح المحل لها كأنما تراه رأى العين .. ها هو ذا مكانها خلف المعرض الزجاجى الذى نسقت فيه أنواع الدانتيلا ، وها هى زميلاتها الثلاث فى أماكنهن ، وها هو ذا محمد افندى بنظارته السميكة وشعره الأبيض وقلمه الذى لا يفارقه يدون به كل ما يخرج من المحل وكل ما يرد اليه ، وها هو ذا السلم الخشبى الذى يقود الى الغرفة العلوية ، غرفة صادق افندى صاحب المحل .

ورن فى أذنيها صوته .. انه يدوى فى أذنيها فى سكون الليل وفى جلبة النهار .. فى اليقظة وفى المنام :

— شريفة .. تعالى .

وراحت تصعد فى السلم الخشبى ودخلت عليه تحس رهبة . بيد أن هذه الرهبة سرعان ما ماتت لما ابتسم لها وقال :

— سرنى اجتهادك فى عملك يا شريفة ، وقد رأيت أن أكافئك .

ومد يده وربت على خدها فأحست تيار الخجل يشوى وجهها ، وارتجفت وراحت تتلفت فى قلق . ونادى قائلا :

— محمد افندى .. تعال .

وصعد محمد افندى وهو يلهث فقال له :

— ارفع مرتب شريفة خمسين قرشا .

« كان مرتبى ضئيلا ولكنى كنت أجد جنيهات فى يدى أول كل شهر . كنت آكل بها انا وأمى وأدفع منها ايجار البيت » .

والتفتت الى أمها فراتها ترقب اشارة المرور فى ضيق وملل ، كانت لا تزال خضراء . وعاد صوت صادق أفندى يرن فى أذنيها مناديا :

ـ شريفة ! تعالى .

ورأت نفسها وهى تصعد فى الدرج الخشبى ، كان الليل يزحف وكانت الزبلات مشغولات بطلبات الزبائن . انهما هى وهو وحدهما .. فى عينيه بريق يخيفها ، ترى ماذا يريد منها ؟ وحين رفعت يدها لتهوى بها على وجهه .. كان فى ذلك الجواب على ما يريد .. انها غير نادمة .. بل راضية عما فعلت ، ورفع يده وهوى بها على وجهها ، ثم صاح وهو يزمجر :

ـ محمد افندى ، تعال .. تعال .. يا سافلة .. يا ساقطة .. انا رجل متزوج .. انا رجل عينى مليانة .

ودخل محمدافندى يتكفأ ، وصاح صادق فيه :

ـ أخرج هذه الساقطة من هنا .. اطردها .. لا مكان لمثل هذه الساقطة فى دكانى .. أخرجها .. اخرجى ..

ورأت نفسها وهى تسير والدموع تغسل وجهها ، وصوت يرن فى أعماقها : « الموت أحب الىّ مما يدعوننى اليه » .

وأضاء النور الاحمر وأغلق الطريق أمام السيارات القادمة من شارع الجمهورية ، واسرعت الأم لتبتعد عن ابنتها وتتركها فى الميدان وحدها ، وان كانت معها بكل مشاعرها التى أيقظتها عضات الجوع القاسية .

وفرت شريفة السيارات بعينيها فرات بالقرب منها سيارة بها رجل تعتقد أنه ستبدها ، فخفت اليه وأمها ترقبها وقد كتمت أنفاسها رهبة .. شريفة تتقدم .. انها تفتح الباب .. انها تقفز الى داخل

السيارة . . اغلقت الباب خلفها . . لا تزال الاشارة حمراء . . متى تفتح ؟ ! متى تفتح ؟ !

وقبل أن تزفر الام فى راحة وقعت عيناها على الرجل ، انه متجهم الوجه . . انه غاضب . . ثائر . . الباب يفتح . . شريفة تهبط من السيارة مطرقة الراس . . الرجل يقفل الباب خلفها فى عنف . . الاشارة تفتح والسيارات تنطلق . . واحست الأم أن قلبها بتمزق .

وعادت شريفة تنظر الى النور الاحمر وعاودها شرودها ، فرأت نفسها ليلة أن رجعت الى امها بعد أن طردت من عملها . كانت تقص عليها قصتها وعبراتها تسيل على خديها . . وضمتها أمها الى صدرها وقبلتها فى حنان وقالت لها : لا تحزنى . غدا تجدين عملا آخر . . ما أكثر فرص العمل .

وراحت الاصوات ترن فى أذنيها مدوية متداخلة :

ـــ آسف . . لسنافى حاجة الى عاملات جدد .

ـــ عم سليمان . . هات رغيفين وبقرشين زيتون وبقرشين حلاوة . . سأدفع لك بعد أن اعمل . . سأشتغل قريبا .

ـــ لا توجد وظائف خالية .

ـــ عم سليمان هات رغيفين وبقرشين حلاوة وصابونة .

ـــ الحساب . . الحساب يا ست شريفة ! .

ـــ سأدفع الحساب كله قريبا . .

ـــ الايجار . . لا أستطيع أن أنتظر اكثر من هذا . . الايجار والا سالقى بكما فى الشارع . .

ـــ هل سبق لك العمل ؟

ـــ نعم .

ــ اين شهادة خلو الطرف ؟

ــ لم يعد عندنا ما نبيعه يا شريفة ، بعنا كل ما كان عندنا يا بنتى .

ــ لسنا فى حاجة الى موظفات .

ــ لابد من شهادة حسن سير يكتبها لك من كنت تعملين عنده .

ــ صادق افندى .. ارحمنى .. ارجوك ..

ــ اغربى عن وجهى .. لن أغش الناس ابدا .. ضميرى يأبى .. ضميرى يأبى ..

ــ صادق افندى .. انا بريئة وانت تعلم ..

ــ سافلة .. فاجرة ..

ــ شريفة ! انى أموت من الجوع .

ــ وماذا افعل يا أمى ؟

ــ اذهبى الى العم سليمان وهاتى رغيفين .

ــ اقسم بالله ثلاثا انه لن يعطينا شيئا الا اذا دفعنا ما علينا ..

ــ اذهبى اليه يا بنتى .. انى اموت من الجوع .

ورأت نفسها وهى تخرج مطرقة الرأس الى دكان العم سليمان .. كان الليل قد قارب على الانتصاف وكان باب الدكان الحصيرة المصنوع من صاج مدرج قد سحب استعدادا لأن يغلق ، وما كان احد يستطيع أن يدخل منه الا اذا انحنى .. ووقفت شريفة أمام الباب لحظات وهى مترددة بين الاقبال والاحجام ، ثم تقدمت مسلوبة الارادة وحنت قامتها ودخلت فاذا بها هى والعم سليمان وحدهما ولا أحد معهما .

وقالت فى صوت خافت وهى تتحاشى أن تلتقى عيناها بعينيه :

ــ اعطنى رغيفين وقطعة من الجبن .

ـ الثمن . . اقسمت الا اعطى شيئا الا اذا قبضت ثمنه .

ـ ليس معى الآن ما ادفعه .

. . وعادت الى البيت تحمل بين يديها ارغفة كثيرة ولفافات بها زيتون وجبن وحلوى وفى قلبها هم ثقيل . . فقد نال العم سليمان ما كانت تضن به على الرجال جميعا لقاء لقيمات تسكت صراخ البطون .

واضىء النور الأحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ، وابتعدت الأم عن ابنتها وتقدمت شريفة تجوس خلال السيارات وتوجه نظرها الى عيون الرجال الجالسين فيها لعلها ترى فى عينى أحدهما نداء ، الا أن اشارة المرور فتحت قبل أن تعثر على من يحملها معه الى حيث يريد ، ثم يضع فى يدها نقودا تشترى بها سمكا لأمها .

وعادت الى الطوار تنتظر ان يقفل المرور وتقف السيارات لتستأنف محاولاتها ، وراحت صور حياتها تطفو على سطح ذهنها . . رأت صاحب البيت يصيح بها قائلا :

ـ الايجار . . لن أستطيع ان اصبر اكثر مما صبرت . .

ورأت نفسها تقترب منه وتلتصق به . . وانهارت مقاومته . . وفى لحظات كان يقول لها :

ـ بيتى كله لك .

ودست الايصالات فى صدرها .

ومرت شهور لم يفزعها فيها شبح ايجار الشقة ، وذلت يوم جاء صاحب البيت وخفت اليه لتستقبله بالقبل كما اعتادت ان تفعل كلما جاء ، واذا به يستقبلها بلطمة قوية أعقبتها بصقة فى وجهها ثم زمجر قائلا :

ـــ اريد الايجار .

وعاد الايجار يثقل كاهلها ويزيد فى همومها .

ورات نفسها تخرج فى الليل والنهار وتعود بالطعام لأمها وتضع فى يدها كل ما يتبقى معها من نقود . كان راكبو السيارات ايسر صيدا وانمنه ، وقد أغراها ذلك أن تخرج كل يوم فى مثل هذا الوقت وتقف عند اشارة المرور تلقى شباكها . كان الأمر سهلا أول الأمر .. حملت الى بيوت كثيرة .. وتناولت أشهى الأطعمة ، وعادت بجنيهات ، وصمرت خدها للعم سليمان .. أما الآن فقد صار الأمر صعبا ، مرت أيام لم تنل فيها شيئا ، ذاب فيها ما كان عندها وعاد الجوع يطل بانيابه البشعة على جحرها ، حتى ان أمها اضحت تخرج معها وتقف بعيدا لتطمئن الى أن شيئا ما وشيك الدخول الى جوفها !

واغلقت اشارة المرور امام السيارات القادمة من شـــارع الجمهورية وابتعدت الأم عن ابنتها فى تخاذل ، كانت تحس أنها ستنهار ، وزاد فى وهنها ان اليأس بدأ ينتشر بين ضلوعها ، وقر فى رأسها أن يومها لن يكون أفضل من أمسها . وانســـابت شريفة الى السيارات ، واخذت تقلب عينيها فى راكبيها من غير حماس . لاح فى وجهها قنوط واعياء وسريلتها مسكنة تحرك الشفقة اكثر مما تحرك الاشتهاء .

وانطلقت السيارات فى طريقها ، وقفلت شريفة راجعة الى الطوار وهى تحس غيبوبة تسرى فى كيانها ، بيد أن ذهنها ظل يعمل .. رأت نفسها فى « جروبى » جالسة تحتسى القهوة عند الغروب .. كانت تجلس الى مائدة وحدها وكان المكان غاصا

بالناس ، وتقدم شاب على استحياء ونظر الى الكرسى الخالى امامها وقال :

ــ اتسمحين ؟

ــ تفضل .

وجلس .. وتحادثا .. وقبل أن ينصرفا كان صالح قد ضرب لها موعدا ليتقابلا .. والتقيا وتوجها الى السينما ، وقبل أن ينصرفا ذهب بها الى محل فاخر لبيع الحلوى واشترى كيلو شيكولاتة قدمه اليها : « يا مغفل ! شيكولاتة وليس فى بيتنا خبز ؟! لو أعطيتنى نصف ما انفقته على اليوم لكنت أسعد الناس » .

ونظرت الى اشارة المرور الخضراء فى شرود ، ثم اسبلت جفنيها على عينيها ومشى فى جسدها وهن شديد ، أحست انهـا ستنهار بيد أن صوت صالح مس اذنيها فى وضوح وإن بدا انه قادم من مكان سحيق ، قال :

ــ شريفة سنسافر غدا الى الاسكندرية .

ــ أمرك .

ــ سنتقابل فى السابعة صباحا .

ورأت نفسها وهى تتجه معه الى المطار فقد اصر على أن يذهبا اليها بالطائرة .. وعاودتهما الافكار التى راودتها وهى فى الطائرة الى جواره : « يا مغفل لماذا كل هذا التبذير ؟ اعطنى بعض ما تبعثره فى الهواء أعطك ما تريد واكثر » .

وتذكرت ما دار بينهما فى ذلك اليوم من حوار فأحست جسدها كله ينتفض وقلبها ينز أسى ، واستشعرت آلاما فى روحها تكاد تطغى على آلام الجوع الكافر :

ــ شريفة ! تعلق قلبى بك منذ اول يوم رأتك فيه عيناى . اريد

ان اتوج هذا الحب بالزواج فما رايك ؟ . . لماذا هذا الصمت ؟ قولي نعم أو لا . . قولي اي شيء . . اعرف يا شريفة انك لست غنية واعرف أن لك أما ليس لها غيرك . ستكون امك امي . . سيصبح لها ابن يرعاها ويكرم شيخوختها . . كل ما اريده يا شريفة زوجة تصون شرفي ؟ ما رايك ؟

— صالح . . اعفني ارجوك .

— اتبكين يا شريفة ؟ انا لا افهم شيئا . . تكلمي . اريحي قلبي .

— لا احب أن اكذب عليك يا صالح سابوح لك بسري . خطبني زميل من زملائي الذين كانوا يعملون معي في المحل واتفق مع امي على أن يعقد عليّ ليلة ازفافه ودفع لأمي المهر . كان يمر عليّ في الصباح ونذهب معا الى العمل ، وكنا في الليل نتجول في المدينة نحلم بمستقبلنا المشرق الذي ينتظرنا ، وما كنا نعلم ان الزمن يخفي لنا في غيبه مأساة ، فقد مرض خطيبي ومات بعد أن نال مني . . كل شيء . . كل شيء .

والتفتت بعينين زائغتين تبللهما الدموع الى حيث كانت السيارت مقبلة . . لا احب أن اكذب عليك يا صالح . كانت حياتك كلها يا شريفة كذبة متصلة . . الموت احب اليّ مما يدعوني اليه . . لماذا تأخرت ؟ لماذا تأخرت يا صالح ؟ . لو انك جئت قبل ان يطردني ذلك الوغد من دكانه وقبل أن ينهشني الوحش النتن في دكانه لما قاسيت ما قاسيت ، ولكنك جئت بعد الأوان ، بعد أن ضاع ما تبحث عنه .

وقصف صوت صالح في خيالها كقصف الرعد :

— عشت منذ عرفتك أحلم بيدي وهي موضوعة في يد موكلك ،

واصغى الى صـــوته وهو يقـــول : زوجتك موكلتى شريفة البكر الرشيده .. لا .. لا أستطيع أن اتصور .. لا أستطيع ابدا ..

واغلقت اشارة المرور ووقفت السيارات ، وبقيت شريفة فى مكانها لا تتحرك . خيل اليها أن النور الاحمر السنة نيران تتراقص لتلسع قلبها وتشوى كبدها . وهمس صوت ضميرها فى اغوار نفسها : « ليتك يا صالح عرفت الحقيقة .. جسدي ولغت فيه الذئاب اما قلبى فلم ينفذ اليه احد سواك . لم أعرف طعم الحب قبل أن القاك ، ملكت كل حواسي ومشاعرى وان لم يلمس لحمك لحمى .. كنت اتمنى ان اجود بروحى فى سبيل ان اصون عرضك .. كنت مغفلا يوم جئت .. وكنت مغفلا يوم ذهبت بعد أن مزقت قلبى وقلبك » ..

واحسست الأرض تميد تحت قدميها ، ورأت من خلال الغشاوة التى سدلت تنسدل على عينها السيارات تتراقص ، وتماسكت وراحت تقاوم ارادة جسدها أن ينقض ليستريح .

ودنت امها منها متهالكة متخاذلة وهى تهمس : « كنته فاكراكى يا رجليه شايله بطنى ، اتاريكى يا بطنى اللى شايله رجليه » .

وملأت صورة العم سليمان رأس شريفة ، وتذكرت ما قاله لها قبل أن تقطع كل صلة بينها وبينه : « أنا فى الخدمة دائما يا ست شريفة ، انا لا أنسى أبدا أصدقائى » .

ولفت الأم ذراعها حول وسط ابنتها ولفت شريفة ذراعها حول امها ، وقفلتا عائدتين تجران ارجلهما جرا وتتحاملان على انفسهما حتى لا تقع احداهما على الأخرى من أثر الجوع .



كنت وصاحباى نجتمع كل يوم جمعة فى الكازينو ، وكان صاحباى من الشباب الذين تستهويهم النظريات الحديثة فكان كل منهما يعكف طوال الأسبوع على قراءة داروين وفرويد وماركس أو على بعض ما كتب عنهم ، حتى اذا ما حان موعد اجتماعنا راح كل منهم يردد ما قرأ فى حماس كأنه شريط تسجيل دون أن يحاول ان يفكر فيما قرأ او يقلب الرأى فيه . وكان كل منهما يحاول أن يسيطر علينا بعلمه وهو فى قمة النشوة ، يحسب أن احدا لم يسبقه لقراءة تلك الفلسفات المادية . وقد كان يخيل الى احيانا انهما اشبه بشاب يافع قد بلغ الحلم فظن أن احدا من العالمين لم يستشعر مثل ما استشعر به . كنت أصغى اليهما وما كنت احب ان اناقشهما أو اجادلهما فما كان ما يرددان من آراء جديدا على ، كنت قد قرأته محايدا واخذت فيه قرارا وانتهى الأمر .

وجاء الجرسون وطلب صاحباى بيرة وطلبت « اسباتس » فسخرا منى سخرية خفيفة ، فرأيت أن أبلعها حتى لا اعكر جو الجلسة ، ورحنا نخوض فى الأدب والأدباء فانكرا كل الكتاب المصريين والعرب امعانا فى الترفع . وليسوهمانى انهما « السوبرمان » الذى كان يحلم به نيشته أو انهما من رجال المدن الفاضلة . .

وقبل أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة استأذنت منهم ، وما ان قضيت الصلاة حتى عدت اليهما فلما رأياني قال أحدهما في انفعال :

ــ كيف يؤمن مثقف مثلك بالغيب والغيبيات ؟

وقال الآخر ساخرا :

ــ والأدهى من ذلك انه يؤمن بالاحلام .

ورأيت الا ابتلع هذه السخريات فقلت لهما :

ــ فلنتجادل بالتي هي أحسن . انكما شربتما البيرة فلم انهركما ولم افكر في أن انهاكما وتركت لكما حرية الشراب وان كانت رائحة البيرة تضايقني ، فلماذا غضبتما لانني ذهبت للصلاة ؟ من منا اوسع أفقا ؟ لعلكما تجدان في الشراب نشوة وانا اجد في صلاتي نشوة ، فلماذا تحاولان ان تحجرا على حريتي وان تحرماني نشوة اسعد بها وينشرح لها صدري . من منا المتزمت المتحجر ؟ تركت لكما حرية الخطيئة فلماذا تحاولان أن تدفعاني بعيدا عن طريق الامن والسلام .

ــ اننا نريدك أن تصحو ، أن تفيق من الوهم الذي تعيش فيه .

ــ آسف ان اقول لكما انكما لا تزيدان عن ببغاوات وان اشرطة التسجيل أنفع منكما وأصدق . انكم تتحمســـون لما تقرءون دون تفكير ، فما تقرءون يسلبكم حرية التفكير بل يجعلكم عبيدا لما تقرءون . تحدثتما في الصباح عن النشأة الاولى وعن التطور والارتقاء وعن الحلقة المفقودة وكلام كثير لا يصمد طويلا لاي تفكير هادىء سليم . ان الدين لا ينكر التطور : « ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » ولكن الدين والمنطق السليم ينكران أن الاصل خلية حية تطورت حتى صارت بشرا سويا . فلو سلمنا بذلك

التطور فهل النتيجة النهائية لكل ذلك ذكر ام أنثى ؟ فلو كانت النتيجة ذكرا فلابد من تطور آخر تكون نتيجته أنثى حتى تبدأ الحياة .

ولو حدث مثل ذلك التطور الثنائي لكان أكبر دليل على تدبير عاقل ، وعلى وجود مدبر حكيم . وما دمنا قد وصلنا الى المدبر الحكيم فالخلق أقرب الى المنطق والعقل من التطور والى افتراض وجود حلقة مفقودة . وعيب النظريات المادية كلها أنها تقوم على افتراضات خاطئة منهارة ، فكيف تكون النتائج سليمة اذا كانت الافتراضات غير سليمة ؟

يا صاحبى الكازينو سمعتكما كلما خضنا فى موضوع حيرنا قلتما : أيهما وجد أولا البيضة أم الدجاجة ؟ فلنفكر فى هدوء قليلا — ان كنا كبد الحقيقة نريد — انى أسألكما : هل اذا باضت دجاجة ليس معها ديك ، هل يمكن أن تفقس مثل هذه الدجاجة كتكوتا ؟ .

— لا ، لا بد أن يكون بالبيضة التى تفقس « كسر » ديك .

— اذن لابد من ديك ودجاجة حتى تبيض الدجاجة بيضة صالحة للفقس .

— هذا لا شك فيه .

— فلماذا تسألون دائما : « مين اللى اتوجد الاول الفرخه واللا البيضه » ؟ أتعرفان لما ترددان ذلك ؟ لأنكما اعتدتما أن تتلقيا كل ما يأتينا من الغرب دون تمحيص . لو فكرنا بعقول حرة لاهتدينا الى أن كثيرا مما يأتينا من عندهم ليس له الا البريق .

يا صاحبى الكازينو لابد من دجاجة وديك لتأتى بيضة صالحة للفقس والتفريخ ، فالدجاجة والديك أسبق من البيضة لو كنتم تفكرون .

يا صاحبى الكازينو بقيت النقطة الاخيرة ، النقطة الاخيرة

التي اثارت كل هذا الجدل ، الغيب وايماني بالغيب . واقول الحق انكما مغروران ، فنتائج المعامل المذهلة ادارت رأسيكما ، فاسمحا لي أن اناقشكما لآخر مرة في هدوء . قولا لي : اذا قربنا سلكا سالبا من سلك كهربائي موجب ، فماذا يتولد ؟

— كهرباء .

— ما هي الكهرباء ؟

فصمت صاحباي فقلت لهما :

— غيب .

وعدت اسأل :

— اذا قربنا مغناطيسا من مسمار فماذا يحدث ؟

— ينجذب المسمار الى المغناطيس .

— فما هي المغناطيسية ؟

ولم يحر صاحباي جوابا فقلت :

— غيب .

ثم قلت لهما :

— اذا وضعنا حامضا على معدن ما فماذا يحدث ؟

— تفاعل ..

— فما هو التفاعل ؟ غيب .

كنا نتصور أن الموجات الصوتية أو الضوئية تسبح في الأثير ، ثم جاء اينشتين واثبت ان ليس هناك اثير . لقد كان الأثير غيبا بالنسبة لنا قبل اينشتين واصبح فراغا بعد اينشتين . ان الانسان

قد فتت الذرة ، مره تكون نتيجة التفتيت شعاعا ومرة تكون حرارة . كل ذلك عيب ولا شيء غير الغيب . اللهم الا نتائج وظواهر يفتننا استخدامنا لها ونحسب من فرط جهلنا وغرورنا أن الغيب قد أسفر عن وجهه .

ان المعمل لم يثبت الا حقيقة واحدة هي الغيب . وكل حكمة الحكماء وعلومهم ان هي الا آراء بشرية ناقصة وظنون لا تبلغ من عالم الغيب الا انه موجود مجهول .

يا صاحبي الكازينو كلنا سسواء ، المؤمن بالغيب والمؤمن بالمعمل ليس أمامنا الا حقيقة واحدة أن نؤمن بالغيب .

ونظر أحد الصديقين الى ساعته وقال :

ـ حان وقت الانصراف .

فانصرفنا ورحت اتذكر قول برجسون :

ـ ان البصيرة بصر باطني للعقل الذي اغلق عن عمد كل ابواب الحس الخارجي ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ورحت أتذكر أيضا ما ورد في أسفار اليوبانتشاد : « اننا لا ندرك روح العالم بالتحصيل .. اننا لا نبلغه بالنبوغ والاطلاع على الكتب .. فليطرح البرهمي العلم وليعد طفلا .. لا يبحثن البرهمي عن كلمات كثيرة ، فما هي الا عناء يشقي اللسان ، فنفاذ الراى الى جوهر الأمر أعلى درجات الفهم .

وراحت ابتهالات البراهمة ترن في أعماقي :

ـ ايه يا روح العالم غير المجسدة ، يا جوهر العالم الواحد الشامل : يأيها المحتوى لكل شيء ، الكامن في كل شيء . يا من لا

تدركه الحواس ، يا حقيقة الحقيقة ، يأيها الروح الذى لم يولد والذى لا يحق عليه الموت أو الفناء » .

ونظرت حولى أملأ نفسي بروعة الكون ، فاذا بى اشعر بفرح فياض واهيم الاذوب فى ملك الله ، وهتفت كل خلجة من خلجاتى :

ــ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .



— ١ —

سارت فردوس فى الغرفة الواسعة وهى تحمل بطانية رمادية من الصوف ، واتجهت الى الأريكة التى كانت تعدها لتكون سريرا للوافد الجديد ، وطوت البطانية ووضعتها فى عناية فوق طرف الأريكة الخالى فقد كان فى الطرف الآخر وسادة صغيرة ، واسدلت على الجميع مفرشا أبيض راحت تمرر يدها عليه لتبسط ثنياته .

واتجهت الى الكنسول وراحت تجره ، واذا بزوجها يدخل ويقول لها :

— ماذا تفعلين ؟

— اقرب الكنسول من الفراش ، ليضع كتبه وادواته فى ادراجه ويستعمله مكتبا .. ليس عندنا مكتب .

— ولماذا لم تناديني لأساعدك ؟

— لم أشأ أن اتعبك .

فقال وهو يرمقها فى ود :

— تعبك راحة .

وشمر أكمام جلبابه وأسرع اليها يعاونها .

كانت فردوس فى الخامسة والعشرين قمحية اللون واسعة العينين يلمع سوادهما لمعانا أخاذا وبياضهما ناصعا ، وأنفها متناسبا وشفتاها رقيقتين منطبقتين على فم أشبه بجرح دقيق تتجمع دماؤه لتتفجر ، وغار طابع الحسن فى ذقنها ، وشعرها فى لون الفحم يبدو فيه الفرق الأبيض كشريط من العاج مد فى وسط مخمل اسود ، وغطى مؤخر راسها منديل أبيض تدلت من حواشيه احجبة صغيرة شغلت من خيوط فى لون العقيق ، ونبعت من تحت المنديل ضفيرة غزيرة طالت حتى لمس طرفها أعلى جزء فى مجزّها .

وكانت ترتدى ثوبا فضفاضا ناصع البياض اقرب الى جلباب الرجال ولكنه عجز عن أن يكتم سر الجسد الذى يحويه ، فالثديان الممتلئان يهتزان فى رعونة كلما اقبلت أو ادبرت ، والأرداف تتكور كلما مالت تلتقط شيئا أو انثنت على السرير أو الارائك أو المقاعد تعيد تنسيقها ، أما الخصر النحيل والبطن الذى لم يعرف الحمل فقد كان يفضحهما ضمها لحشية كبيرة بين ذراعيها ورفعها على صدرها ، فالثوب يشد حول الجسد شدا ويكشف سحره .

وكان سويلم يخطو نحو الستين ، طويل القامة محدودب الظهر قليلا ، جاف الوجه مضمضع العينين تبعثرت فى ذقنه بعض شعرات بيض . يرتدى جلبابا من الصوف وان لم يكن الشتاء قد أقبل ، ويضع على رأسه طاقية من الصوف .

ووضعا الكنسول بالقرب من الأريكة واخذت فردوس تنظف مرآته بأوراق صحيفة ، ووقف سويلم يتطلع اليها بعينين راضيتين وقال :

ـ أهو ابن خالتك ؟

فقالت فردوس وهى مستمرة فى عملها وصدرها يترجرج :

ـــ أمه ابنة خالتي .

وصمت قليلا ثم قال :

ـــ كم سنه ؟

ـــ والله لا ادري . . آخر مرة رأيته فيها كان طفلا صغيرا .

فغمغم :

ـــ طفل صغير ؟ !

ثم قال في صوت فيه دهش :

ـــ وماذا نفعل لو بكى ليلا وطلب العودة الى أمه ؟

فضحكت فردوس ضحكة ناعمة وقالت :

ـــ تحمله على كتفك وتذهب به الى أمه . .

فقال في فزع :

ـــ أخرج في برد الليل ؟ والله لو بكى . .

ولم تدعه يتم حديثه بل قالت وهي تضحك :

ـــ اطمئن فلن يبكي ، كانت آخر مرة رأيته فيها من تسع سنوات . . بعد زواجنا بسنة . كان لم يذهب الى كتاب القرية بعد ، وقالت لي أمه : لما يأخذ الابتدائية سأبعث به اليك في البندر ليدخل مدرسة الصنائع .

كنت احسبها تمزح فقلت لها مجاملة : سأضعه في عيني . . ولم تنس ما دار بيننا ، ذكرته في رسالتها كلمة كلمة كأنما نقش في رأسها .

ورفعت فردوس كرسيا من الخيزران في يدها ووضعته تحت حلقة تدلت من السقف ، ثم خرجت من الغرفة . . وما لبثت ان عادت تحمل مصباحا كبيرا يأتلق معدنه وتشمخ زجاجته ، ودفعت بالمصباح الى زوجها ووقفت على الكرسي ، ومدت يدها وقالت :

ـــ هات

وقال لها وهو يمد يده بالمصباح :
ـــ خذى . . يأخذ عدوك .

وشبت على أطراف أصابعها وهى تضع المصباح فى الحلقة ، فشد جسمها وانحسر الثوب قليلا عن ساقها الممتلئة ، فمد سويلم يده وراح يمررها على ساقها فى حنان ، فرنت اليه فى دلال وقالت فى خبث :
ـــ اقدع .

وضحكت ضحكة طويلة منغمة كلها نداء ، فابتسم سويلم فى مرارة . وقفزت فردوس فى خفة وارتمت فى صدره ، فوضع شفتيه على خدها وطبع قبلة باردة احست قشعريرتها فى روحها .

وارتفع رنين جرس « كرتة » فأسرعت فردوس الى الشباك ونظرت ، ثم التفتت الى زوجها وقالت :
ـــ عرفة حضر .

وعادت الى زوجها مهرولة ، واخذته من يده وانطلقا لاستقبال الوافد الجديد .

ووقفا عند رأس السلم يترقبان . . كان سويلم يحس بعض الضيق فقد الف حياته وما كان يحب أن يعتورها التغيير ، اما فردوس فقد كانت تستشعر رغبة فى استكناه طلعة الطفل الذى لم تره منذ تسع سنين .

وراح عرفة يصعد فى الدرج وهو مطرق الرأس يعلق فى ذراعه صرة بها ثيابه ، ويحمل فى يده الأخرى حقيبة عتيقة من الجلد الأصفر اسودت اطرافها من العرق . وأحس أن هناك من يرقبه عند رأس السلم فنظر دون أن يرفع رأسه ، فألفى سويلم وفردوس ينتظرانه فخفق قلبه فى شدة واضطراب ، واخذ يصعد متمهلا لعل القلق الذى نزل به يهدأ ولعل انفاسه تنتظم .

وسنا منهما فاذا بهما يتطلعان اليه وقد فغرا أفواههما ولاح الدهش في أعينهما .. كان فتى مكتمل النمو عريض الكتفين قوى الساعد ، وانشرح صدر فردوس ورفت على شفتيها بسمة عريضة بينما زاد انقباض سويلم ، ولم تفلح الفرحة التى لاحت بين شفتيه فى أن تخفى عبوسه .

ووصل اليهما وعيناه حائرتان بينهما ، وفتح فمه ليلقى عليهما تحية ولكن حبس صوته فارتبك ، فاسرعت فردوس تقول وهى تمد له يدها :

— أهلا وسهلا .. شرفتنا .

والتفتت الى زوجها وقالت ويدها لا تزال قابضة على يد الفتى :

— عمك سويلم .

وأرخت يدها القابضة على يده فمد يده ومال ليقبل يد الشيخ الممدودة لمصافحته ! ولكن الشيخ سحبها بعيدا عن الفم المزموم .

وساروا جميعا ليدخلوا الشقة وقد تباينت مشاعرهم ، فردوس تختلس النظر الى الفتى فى سعادة ، وسويلم يرمقه فى برم ، وهو سائر كالمذهول ينكر نفسه .

وبلغوا الغرفة التى أعدت له ، وقالت فردوس وهى تفسح له الطريق :

— تفضل .

وتقدم وحده وجعل يتلفت فى ارتباك ، ووقعت عيناه على الكنسول فاتجه اليه ليضع الصرة والحقيبة فوقه ، والتقت عيون الزوجين فهمست فردوس :

— والله لو بكى فى الليل فلن يحمله على كتفه أحد غيرك .

ورنت فى المكان ضحكتها المقعمة الزاخرة بالنداء .

— ٢ —

سرى فى سكون الليل صياح ديك واذا بصيحات الديوك تتجاوب من كل مكان ، وتسللت خيوط فى لون الرصاص من خصاص الشباك تجاهد لتزحزح الظلام الثقيل الجاثم على انفاس حجرة نوم الزوجين ، وهتك الصمت وقع اقدام فى الطريق واصوات عجلات عربة مقبلة من بعيد .

وراحت الخيوط الرصاصية تتحول الى خيوط من الفضة ، فبدت أعمدة السرير النحاسية الصفراء الشامخة كأعمدة من الابريز ، وتقلب ستويلم فى الفراش وتمطى ، ثم ازاح الغطاء عنه ونهض ليذهب الى دورة المياه يتوضأ .

والقى نظرة على فردوس النائمة الى جواره فالفى ساقها قد تعرت ، فمد يده وسحب الغطاء فوقها وستار وما ان ان غادر الغرفة حتى دفعت فردوس الغطاء عنها بقدمها ورفعت ساقيها الى أعلى فانحسرت ثيابها عن فخذيها ، ودارت فى السرير نصف دورة ، وبحركة رشيقة كانت منتصبة على قدميها ، وانطلقت الى غرفة عرفة وفتحت الباب فالفت عرفة جالسا على الاريكة التى أعدت لنومه ، فقالت له :

— يسعد صباحك .

— يسعد صباحك .

وتناولت من خلف الباب قصبة من الغاب مجوفة ، وتقدمت

حتى وقفت تحت المصباح ووضعت طرف القصبة فى الفتحة المجوفة بتمر المصباح ونفخت فى القصبة ، فانطفأ النور الخافت الذى كان يتراقص كأنما يترنح قبل أن يلفظ انفاسه .

وذهبت الى الكرسى الخيزران ، وفطن عرفة الى ما ستفعله فقد رآها مرارا تقوم به ، فكان أسرع منها الى الكرسى وحمله بيده ووضعت تحت المصباح ، ثم وقف فوقه ليتناول المصباح من الحلقة المدلاة من السقف . ودنت فردوس منه ورفعت رأسها ترمقه وفى عينيها غبطة وفى صدرها نشوة ؛ باتت تستشعر مشاعر جديدة مذ جاء الى البيت .. تدسست فى روحها يقظة بعد طول هجوع .. كانت الشيخوخة المبكرة تنجح فى اسدال استرة كثيفة على قلبها الشاب ، فاذا بوفوده يهتك الأسجاف ويجعل القلب يرفرف فى انطلاق .وكادت كنوز قلبها تفور واذا به يفجر المكنون فتتفتح مهجتها تفتح الزهر للندى ، وترف أحاسيسها رقة انفاس السحر ، ويترقرق فى جوفها حنان دفاق ، وتدب فى أوصالها حياة حلوة عذبة لها طعم حبيب مشتهى لم تذقه من قبل .. مذ عرفت كيف تتذوق الحياة .

حرمت الأمومة سنوات فكبتت احاسيسها الرقيقة ، فلما جاء وجدت مشاعرها المذخورة المكنونة منفسا . آه لو كان اصغر قليلا مما هو لأجلسته على فخذها وضمته الى صدرها وجعلت تعبث بأصابعها فى شعره ، وطفقت تلثمه دون حرج هنا وهناك .

وهبط عرفة والمصباح فى يده ، وتحرك لينطلق به الى المطبخ يمر بالحاز فاعترضت طريقه ، ومدت يدها تتناول منه المصباح وعيناها على شفتيه تراودها فكرة أن تتقدم خطوة وتقبله ، ولكنها وأدت وسوسة النفس واخذت عيناها تطرفان فى اضطراب على الرغم من البسمة التى رفت على شفتيها .

ودارت على عقبيها وانصرفت وقلبها يخفق فى حنان . وقد انتشرت فى جوفها رهبة لذيذة لها نشوة استكانت لها واخذت تغذيها بالأفكار ، راحت تجتر ذكريات يوم الجمعة . عرفة فى غرفته لم يغادرها ولكنها تلمحه فى غدوها ورواحها .. سنويلم فى البيت ممددا على كنبة فى استرخاء . موعد صلاة الجمعة يقترب .. الزوج يطلب منها أن تعد الحمام .. موقد الجاز يطن .. البخار يتصاعد من الصفيحة الموضوعة فوق الموقد .. الزوج يدخل الحمام وعلى كتفه بشكير ابيض .. ترتفع طرقات الزوج على باب الحمام .. تفتح الباب فى حرص لتدخل مسرعة قبل ان يدخل الهواء البارد .. تلتقى عيناها بعينى عرفة وهى تنسل الى الحمام .. يغض عرفه من بصره حياء .. يشرق وجهها بالابتسام .

انها تدلك ظهر الشيخ المقرور بالليفة والصابون فى شدة ، انتقلت الحياة المتدفقة فى جوفها الى ساعدها فتأوه الرجل وصاح فيها ان ترفق به ، ولكنها ظلت تدلكه فى حرارة فأمرها أن تكف قبل أن تدق عظامه . وضحكت ضحكتها المنغمة الزاهرة بالنداء ، وخرجت واثر الصابون فى يديها فأخذت تجففهما وهى ترنو الى عرفة منتشية .

وذهب الزوج لصلاة الجمعة ، وذهبت الى عرفة تدعوه للاستحمام ، وأغلق باب الحمام خلفه وانطلقت تبعض شأنها .. ولكن سرعان ما وجدت نفسها منجذبة الى الحمام ، وطفقت تغدو وتروح امامه وأنفاسها تتلاحق . نبتت فى أغوارها مشاعر كثيرة متباينة لا تدرى كنهها ، كانت مزيجا من الأمومة والرغبة والرهبة والاشتهاء ، ومس اذنيها صوت ارتطام الكوز بالصفيحة فجفلت مفزوعة ، ولكن ما لبثت أن عادت صاعدة هابطة أمام باب الحمام .

آه لو كان أصغر قليلا لفتحت الباب ودخلت تغسل له رأسه وصدره وذراعيه وفخذيه وساقيه وقدميه ، وتصب عليه الماء صبا .. انها لا تذكر إنها قامت بغسل جسم غلام وانها تحس الساعة انها حرمت من لذة .

وهمس في صدرها هامس يسألها عما تفعله اذا دق الباب وطلب منها ان تدلك له ظهره ، ولم تجب عن السؤال ولكن سرت في جوفها مشاعر لذيذة مغلفة بغشاء رقيق من الخشية .

وتحركت أكرة باب الحمام فهرولت مبتعدة كأنما خشيت ان يراها قريبة من الباب فيفطن الى ما دار في خلدها ، وخرج يرتدي جلبابا مخططا مفتوح الصدر فقالت له :

ـــ نعيما .

ـــ انعم الله عليك .

واعترضت طريقه ، ومدت يدها تزرر له الأزرار المفتوحة وهي تقول :

ـــ زرر صدرك الدنيا برد .. وانت خارج من الحمام .

ولفحت انفاسه الحارة وجهها فتلكأت في عملها تنعم بالخدر اللذيذ الذي سرى في كيانها ، ولمحت قطرة ماء على جبينه فمسحتها بكفها في حنان .

واستأنف سيره الى غرفته وذهبت الى الحمام تغسل له ثيابه ، كان الغسيل بغيضا الى نفسها ، ولكنها لم تستشعر ذلك الضيق الذي كانت تحسه كلما جلست الى طست الغسيل ، بل كانت تغني في نشوة .

وأفاقت من الأحلام اللذيذة الدائرة في رأسها على وقع اقدام خلفها ، فالتفتت فوجدت عرفة مقبلا ، فرمقته في استفسار فقال لها :

ـــ اساعدك ؟

ـــ لا . . استرح انت .

★ ★ ★

وفي الصباح رآها واقفة في المطبخ امام موقد الغاز فقال لها :

ـــ ماذا تفعلين ؟

ـــ اني أعد الافطار .

فذهب ووضع الطبلية ، وعاد الى المطبخ يحمل ما اعدته .

وتحلقوا الطبلية ، فردوس وسويلم قد جلسا جنبا الى جنب وجلس عرفة امامهما ، واخذو يتناولون طعامهم وهم يتحدثون احاديث شتى لا ينتظمها سلك ولا يربط بينها رابط .

وتحركت فردوس لتريح رجلها فانحسر ثوبها عن فخذها ، ووقعت عينا عرفة على الفخذ العارية فادام النظر ، ولمح الشيخ اتجاه العيون الخائنة فلكز فردوس بمرفقه وقال بصوت فيه رنة غضب :

ـــ غطي رجلك .

وارتبك عرفة واسبل عينيه ، ودق قلبه في شدة وتدفقت دماء الخجل في وجهه فاحمر ، ومد يدا متخاذلة الى الطعام واعادها الى فمه ، ولكنه لم يسغ ما ياكله فجعل يلوكه في فتور .

واحست فردوس ما يكابده الفتى فاشفقت عليه وضاقت بما فعل زوجها ، وهمت بأن تقول شيئا ترفه به عن عرفة ولكنها خشيت أن تفتح بابا قد يؤدي الى جرح شعوره فلاذت بالصمت .

وبعد عرفة عن الطبلية فقالت له فردوس :

ـــ كل .

ـــ الحمد لله .

ونهض ليحمل كتبه ويتسلل الى مدرسته .

— ٣ —

دق جرس المدرسة ايذانا بالانصراف ، فخف التلاميذ الى ملعب الكرة من كل فج واصواتهم عالية وضحكاتهم مجلجلة ، فقد ذهبوا ليشاهدوا المباراة التى ستقام بين فريق مدرستهم وفريق المدرسة الثانوية .

وتسلل عرفة من رفاقه وانساب مسرعا صوب الباب ، وقابله احد زملائه وهو يحمل بوق فونوغراف يهتف فيه مشجعا مدرسته ومحيي اللاعبين الاصدقاء ، وخلفه ثلة من التلاميذ يتصايحون ، فرفت على شفتى عرفة بسمة ، وانطلق فى طريقه دون أن يلوى عنقه ، فقد أصبح يتعجل ساعات الدراسة ليعود الى البيت . بات يجد سعادة غامرة فى الحديث الى فردوس والاصغاء اليها ومشاركتها فيما تفعل ، والتمتع بدعاباتها .

ووضع المثلث الكبير وبعض أدواته تحت ابطه وراح يضرب فى الطريق المنساب بين الحقول .. وقد خلف وراءه أشجار الجازورين العالية التى تحد مدرسته ، وامتدت على جانبى الطريق خضرة تباينت ألوانها وأشكالها وثمارها ، الخبيزة كأنها دوائر من مخمل أخضر ، وأوراق الترمس كأنها من رسم فنان سريالي لا تماثل فيها ولا تجانس ، والطماطم كأنها جواهر انسدلت عليها أوشحة خضراء تخفيها عن العيون .

وبلغ طريق المدينة المرصوف فضرب الارض بقدمه فى قوة مرات متتابعات ليزيل الغبار العالق بحذائه ، ثم استأنف سيره ووسع من خطوه ، وجعل يتملى فى اهتمام العربات « والكارتات » والدراجات التى تحمل على جانبيها أقساط اللبن ، القادمة من اليمين ومن اليسار على السواء .

ودلف الى حارة جانبية ليتجنب المرور على مغلق خشب الشيخ سويلم ، فقد مر عليه مرة وحياه فأبقاه معه حتى عادا الى البيت معا بعد صلاة المغرب ، ومن ذلك اليوم تحاشى أن يمر عليه عند عودته حتى لا يحرم من الذ ساعات النهار .

وبلغ الدار وصعد فى الدرج وثبا ، ونقر الباب بأصبعه نقرات خفيفة فأسرعت فردوس وفتحته ، ولما وقعت عيناها عليه قالت :

ـ أهلا بالباشمهندس .

ومدت يدها تحمل المثلث الكبير والأدوات الموضوعة تحت ابطه ، وسارا جنبا الى جنب الى غرفته يلمس كتفها كتفه مرة ، ويحتك ذراعه بذراعها مرات ، وتأتلق العيون ببريق أخاذ .

ووضعت المثلث والأدوات على الكنسول ، ولمحت لوحة بيضاء عليها خطوط رسمت بحبر أسود فتفرست فى الرسم برهة دون ان تفهم شيئا ، فقالت وهى تتطلع الى صورة عرفة المنعكسة فى المرآة :

ـ ما هذا ؟

فقال وهو يدنو منها :

ـ رسم لعمل ابريق .

ووقف خلفها واخذ يتطلع الى الرسم من فوق كتفها وهى تعاود النظر لعلها ترى ابريقا ، ولكنها لم تر الا دائرة وخطوطا ، فرفعت راسها وقالت وهى تنظر الى المرآة :

ـــ أين الابريق ؟

فمد ذراعه من خلفها وجعل يمرر أصبعه على الخطوط وهو يقول في اعتداد الأستاذ :

ـــ هذه دائرة قاع الابريق ، واذا قص هذا الخط وهذا الخط وقرطسنا الورقة ولصقنا هذا الطرف بذلك الطرف تكون جسم الابريق .

ـــ وما هذه الخطوط ؟

ـــ زخرفة في الابريق .

فقالت وهي ترنو اليه بطرف عينها :

ـ « أبريق الحنبلي كل ما يفرغ يمتلي » .

وانسكبت ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء ، ورنت اليه رنوة طويلة وابتسمت بسمة خبيثة ، ومالت قليلا في دلال حتى مس ظهرها صدره فأحس خدرا لذيذا ، والدماء الحارة تتدفق في عروقه وتصهد خديه .

ودارت في خفة دورة كاملة فاصبح صدرها أمام صدره . وقالت وهي تعبث في أزرار قميصه :

ـــ هل بعثت بك أمك الى هنا لتصبح سمكريا ؟

وتعلقت عيناها بشفتيه ، لم تكن تنتظر جوابا بل كانت نفسها تغريها أن تلف ذراعيها حوله وأن تضمه اليها وأن تضع شفتيها على شفتيه ، وقال في صوت مضطرب تخنقه انفعالاته :

ـــ هذه تمرينات . . نبدأ بالبسيط ثم نتدرج ، اننا ندرس هندسة السيارات في السنة الأخيرة .

ظلت عواطفها الثائرة تعربد في أغوارها فمدت يدها وربتت على خده ، ثم انصرفت مسرعة لتفر بنفسها من نفسها .

وراح عرفة يخلع ثياب المدرسة وارتدى جلبابه المخطط . وجلس على حافة الاريكة ومد يده وتناول كتابا وفتحه ، وحاول أن يقرأ فيه ولكنه كان شارد اللب يحس رغبة فى أن يذهب الى فردوس يعاونها فيما تفعله ويسعد بقربها .

ونحى الكتاب جانبا وقام ليذهب الى المطبخ فقد وصل الى سمعه طنين موقد الغاز وفطن الى انها بدأت فى الطبخ ، ووقف بجسمه يسد باب المطبخ ونظر فالفاها تنقى الارز فى غطاء الحلة ، فقال لها :

— و انا ماذا افعل ؟

فقالت دون أن ترفع راسها :

— تقشر البصل وخرطه .

وتحرك ، وقبل أن يصل الى البصل قالت له :

— تقلب الحلة .

فاتجه الى الحلة الموضوعة على النار وراح يقلب الخبيزة فى الماء المغلى ، واستمر فى التقليب حتى أمرته أن يكف .

وراح يقشر البصل وهو يبعد وجهه عنه ، ولكن رائحته النفاذة تسللت الى خياشيمه وحركت دموعه ، ولمحته وهى تتجه الى الحلة الموضوعة على النار فابتسمت .

وقلبت الحلة فى مصفاة تحتها وعاء ، واخذت تدلك الخبيزة بيدها لتصفيها وهى تنظر اليه ، وبدأ فى تخريط البصل فسالت الدموع غزيرة من عينيه ، فضحكت ضحكتها الممدودة الناعمة وقالت :

— دع البصل وتعال صف الخبيزة .

فقال فى مكابرة :

ـــ سانتهي من البصل واصفي الخبيزة .

ومدت يدها النظيفة تجفف له دموعه بطرف جلبابه .

وانتهى من تخريط البصل فمد يده يدلك الخبيزة معها فى المصفاة ، وارتطمت يده بيدها اكثر من مرة ، والتصق رأسه برأسها واختلطت الانفاس وساد صمت قلق ، كان كل منهما ينعم بمشاعره ويقاوم الثورة المتاججة فى نفسه ، ويخشى أن يرفع رأسه حتى لا تفضح العيون ما تطويه الجوانح .

ومر الوقت دون أن ينبس احدهما بكلمة ، هى تتظاهر بالانشغال بالحلة الموضوعة على النار وهو الى جوارها يتطلع الى ما تفعل كانما يريد أن يعي درسا ، كانت عيناه تتسللان من جيب صدرها ليكشفا سره .

وقال عرفة وقد أشرق وجهه :

ـــ عرفت كيف تطبخ الخبيزة .

تساءلت فردوس وهى تدير رأسها وتنظر فى عينيه :

ـــ ستصبح باشطباخ قبل أن تصبح باشمهندس .

وضحكت ولكزته بمرفقها فى صدره فى خفة ، فابتسم وتقدم خطوة وفى جوفه اغراء بأن يضع يده على كتفها .

وانتحت محبس موقد الجاز فخبت النار حتى خمدت ، ولكن النار التى كانت ترعى فى أحشائها ظلت تتلظى ، وتحركت ووضعت جردلا تحت الصنبور وراحت تملؤه ماء فراح عرفة يشمر عن ساعديه ، فقالت له :

ـــ ماذا ستفعل ؟

ـــ سأمسح الشقة .

ـــ لا ، اذهب وذاكر .

ـــ والله لن يمسحها اليوم أحد غيرى .

ومد يده وحمل الجردل ، وقبل أن يتحرك قالت له :

ـــ انتظر . ارفع جلبابك حتى لا يبتل .

وقبل أن يضع الجردل على الأرض مالت وتناولت طرف جلبابه ورفعته وراحت تشده فى قوة نحول وسطه وتثبت بعضه فى بعض ، فصار الجلباب من تحت وسطه طبقتين ، وتعرت ساقاه ولاح فيهما زغب خفيف من الشعر .

وانثنى وبين يديه خيشة المسح ، واخذ يمررها على البلاط فى سرعة وهو يتقهقر ، وكاد يرتطم بفردوس فضربته بكفها على كفله وقالت :

ـــ حاذر .

ونظر اليها من بين ساقيه المفتوحتين وابتسم ، فضحكت فردوس ضحكة طليقة مرحة جلجلت فى المكان حتى غطت على صوت المفتاح الذى دار فى باب الشقة الخارجى .

وسكت ضحكتها مسامع الشيخ ستويلم فتقدم على أطراف أصابعه ونظر ، فالفى عرفة منهمكا فى المسح وزوجته قد علقت طرف ثوبها بأصبعها حتى لا يبتل ، وراحت تقول :

ـــ عرفة ! كفى وسطك انحل .

وتنحنح الشيخ فدارت فردوس بنصفها الاعلى ونظرت ، وظل عرفة قابضا على الخيشة وان لم ينظر من طرف عينه ، وقالت فردوس :

ـــ بسم الله الرحمن الرحيم . من اين دخلت ؟

فقال الشيخ ستويلم وهو سائر فى طريقه الى غرفته :

ـــ من الباب .

ورمى عرفة بنظرة نمت عن ضيقه ، وزاد فى مرارته لما رأى

ساعدي الفتى المفتولتين . كان ينفس عليه شبابه ويغار من فتوته في أغواره ، وأن لم يكن يعي حقيقة مشاعره ، ودخل غرفتــه وفردوس خلفه ، واحس رغبة في تقريعها ولكنه كبح عواطفه .. خشى ان يستسلم لثورته فيبالغ في ايلامها وهو لا يحب أن يمزق قلبها ، فهو يهواها ويهيم بها حبا على الرغم مما يبدو منها من رعونة أحيانا .

ووطن النفس على الصمت حتى تهدأ نفســه ويخبــو شرء ويختلي بها في الليل ، فيفضي اليها بما يريد أن يقــوله وهــو يداعبها .

ومدت فردوس يدها تعاونه على خلع ثيابه وقالت :

ـــ أحضر العشاء ؟ الخبيزة ساخنة .

ـــ هيا .

وخرجت وبقي وحده يفكر ، وراح يمرر يده على جبهته ليمسح المشاهد البغيضة المتنافرة التي نبتت واختلطت في راسة .. عرفة وهو يختلس النظر الى فخذ زوجته العارية .. وبائعات الهوى جالسات أمام حوانيتهن ، فقد كان لفظ « الخبيزة » الذى كان يطلق على حيهن كفيلا باقامة الحي في ذهنه نابضا بالحياة وان كان قد اندثر من سنين بعيدة .

وتململ وراح يغدو ويروح في قلق ، وارتفع صوت فردوس يدعوه للعشاء :

ـــ تفضل .

وانطلق مهرولا ليفر ، وجلس الى الطبلية وهو يمد يده الى طبق الخبيرة ، ولكنه توقف قليلا وتفرس في وجه عرفة ثم التفت الى زوجه ، فلما تيقن من إن فخذها ليست عارية بدأ ياكل .

وانتهوا من طعامهم ، وانسل عرفة الى غرفته ليســتذكر

دروسه ، واغلق الزوجان باب غرفتهما عليهما .

تمددا في السرير ، واحكم سويلم الغطاء عليه وشرد ببصره قليلا ثم قال :

ــ اني افكر في عرفة ، لماذا يتجشم اهله ارساله الى المدرسة ؟ لماذا يحرمون انفسهم من معاونته ؟

فقالت فردوس في حماسة :

ــ ليضمنوا له مستقبلا أفضل . بعض سنوات من الصبر تزيد فائدته .

ــ انهم سيخسرونه الى الأبد .. لو ابقوه معهم وزوجوه لضمنوا نفعه .

فقالت فردوس في انكار :

ــ عرفة يتزوج ؟ ! انه لا يزال طفلا .

فقال سويلم وقد لوى شفته السفلى :

ــ تزوجت أول ما تزوجت في مثل سنه .

فقالت فردوس في سخرية :

ــ ولماذا كانت العجلة ؟

ولم يفطن الى سخريتها ، وشرد يجتر ذكريات شبابه في نشوة ، (وقد آثر أن يطوى حقده على عرفة بين جوانحه) بينما رن صوت فردوس في أعماقها وان لم تتحرك شفتاها يقول :

ــ يا وكسه ! أخذتك لحما وتركتك لى عظما ، مصتك مصا وجئتني جافا ، آه لو تزوجتني وأنت في الخامسة عشرة !

واندفعت دماؤها الحارة في عروقها واشتعلت النار في جسدها ، فوضعت شفتيها الملتهبتين على شفتيه ولكنهما كانتا كجثة هامدة .

— ٤ —

عاد في العصر مسرعا كعادته ليعاون فردوس ويعيش معها أسعد لحظات يومه ، وراح ينقر الباب بأصبعه نقرا خفيفا ، ولم تخف فردوس كعادتها بل ظل الباب موصدا مدة ، ومس أذنيه صوت هرولتها في قدومها فتأهبت حواسه لاستقبالها .. خفقان لذيذ في القلب ، نشوة مدغدغة في الصدر ، بريق خاطف في العين ، لسان رطب يمر على الشفتين .

وفتح الباب ولم تنبس فردوس بكلمة ، كان جبينهـا يلمع وحاجباها مزججين ، وخدها متوردا من اثر النتف ، وكانت يدها خلف ظهرها تخفي شيئا ، ففطن الى ان الحلوى لا تزال بين أصابعها ، فرفت على شفتيه بسمة وزاد تألق عينيه ، ورنت اليه فردوس رنوة كلها خبث ، ثم هرولت الى غرفتها وواربت بابها .

ودخل غرفته ووضع كتبه وخلع ثيابه ، وجلس على الاريكة ، ولكنه لم يستطع ان يستقر فنهض وسار حتى دنا من غرفتها ، ومد بصره محاولا ن يرى ما يجرى هناك من فرجة الباب وهو يستشعر قلقا مشتهى ، ورغبة جامحة ، ومشاعر رقراقة تعربد بى جوانحه . كان يعرف حقيقة ما يجرى خلف الباب ، فقد كان وهو غلام يرقب ما تفعله النسوة بالحلوى في اهتمام ، حتى ان كل تفاصيل العملية حفرت في ذهنه .

وعجز عن أن يكشف شيئا ، ولكنه رأى بعين خياله فردوس وهي شبه عارية ، وقد اضطجعت وراحت تزيل الشعر من كل مكان ينبت فيه من جسمها ، فتدفقت الدماء حارة في عروقه ، وراودته افكار ثائرة راحت تحرضه على أن يقتحم الباب وأن يطفيء النار المشبوبة في احشائه ، ولكنه كبح جماح نفسه جاهدا وعاد الى غرفته وهو في شدة الانفعال ، والقى بجسمه على الاريكة واخذ ينظر الى عروق السقف وهو ساهم ، وشرد بذهنه فاذا به يجد نفسه وهو غلام لا يتجاوز السادسة من عمره يلعب في القاعة الى جوار امه ، وفاطمة جارتهم الشابة المخطوبة التى تنتظر انتهاء موسم القطن لتزف الى زوجها تقبل وتقول انها وحدها وقد ضاقت بوحدتها ، وتلتمس من امه أن تسمح له بالبقاء معها لمؤانستها حتى يقبل احد من اهلها الذين ذهبوا الى الغيط .

ورأى امه وهي تطلب منه أن يذهب في نبرات راضية ، كانت سعيدة بذهابه لتتخلص من شقاوته او لتبعده حتى تستطيع أن تفعل في حرية ما تتحرج من أن تفعله امامه ، ورأى نفسه وهو ينهض متثاقلا فهو يحب أن يكون الى جوار امه دواما لا يفارقها .

واخذته فاطمة من يده وهي تداعبه ، واتجها الى دارها التى تبعد عن دارهم بضع خطوات ، ودخلا الى القاعة واغلقت فاطمة الباب خلفها ، وسارت به حتى أوغلت في القاعة ثم جلست في الظلام وجذبته من يده وضمته الى صدرها وراحت تقبله .

فطن على الرغم من صغره الى أن قبلاتها تختلف عن قبلات امه ، فقبلاتها حارة وانفاسها التى ترتطم بوجهه أكثر دفئا وسرعة ، وصدرها في ارتفاع وانخفاض ، ويدها تضغط عليه في قوة وانفعال .

وطلبت منه أن يلف ذراعيه حولها وأن يضمها ففعل ، واستشعر احساسا غريبا لما التصق صدره النحيل بصدرها الممتلىء ، وسكنت الراحة فى فؤاده فاستكان لها وتركها تفعل به ما تشاء ، وهو سعيد غاية السعادة بما تفعل .

واستلقت على الأرض وذراعيها حوله ، وجعلت تأتى أفعالا لم يشهدها من قبل ، وهو يتلقى كل ما تفعل مفتوح الاحساس ، يكتسبه تجارب جديدة قبل الأوان .. واستمر لحظات يحس احساس النائم الذى يعيش فى رؤيا بهيجة .

وراح الوقت يمر وهو بين يديها ، يلبى رغباتها دون أن يجفل أو تمشى فى أوصاله رعدة .. كان سعيدا بالدنيا الجديدة التى تتهتك أستارها أمام عينيه المبهورتين .

وتركته بعد أن عرف أشياء لا يعرفها أغلب شباب القرية الا ليلة الزفاف .

وصار يتردد عليها فى كل وقت تخلو فيه دارها من أهلها ، وما أكثر ما كانوا يتركونها وحدها ، وكان يمضى أغلب الوقت معها فى دعابة ولعب وعناق ، وأصبح يتبعها ككلب أمين لا يفارقها .

وكرت الأيام وهو سعيد بالعوالم الجديدة التى راح يجوس خلالها ، وجاء يوم زفافها فحملوها الى دار زوجها وهو واقف ينظر ، يحس احساس الطفل المدلل الذى سلبوه دميته .

وغابت فاطمة من حياته ، ونسيها ولكنه لم ينس الدرس الذى لقنته ، فصارت لعبة (العروسة والعريس) هى اللعبة المفضلة عنده ، راح يجمع غلمان القرية الذين فى مثل سنه ويجمع الفتيات الصغار ويخطب من بينهن عروسا لنفسه ، ثم يقوم الأولاد بالطبل والزمر والرقص واطلاق الزغاريد بينا يأخذ هو عروسه ويختلى

بها فى ركن من بيت أو مكان مهجور ، ويأخذ فى ممارسة ما علمته فاطمة .

وراح يستعرض فى ذهنه فتيات القرية اللاتى لعب معهن لعبته المفضلة ، كن فتيات صغيرات غريرات بين يدى خبير مجرب ، وان لم يتجاوز السادسة .

وقفز بذهنه السنين ليفر من صور الصغيرات اللاتى لم تعد صورهن تثير فى نفسه شهوة ، ورأى حقلا ممتدا يبدو فى ضوء القمر كأنما اريق على نباته ذوب من الفضة ، وهو يلعب فيه مع بعض الرفاق من الأولاد والبنات « الاستغماية » . كان على أعتاب الثانية عشرة وكان يتعمد أن يختفى مع فتاة نامية فى الجرن أو خلف الساقية ، وكان يطول أختفاؤهما ، يحاول أن يجر الفتاة الى ما كان يجر اليه الصغيرات الغريرات ولكنه بخفق فيكتفى بالضم والقبل .

وسرعان ما تزوجت الفتاة ، وقابلها بعد زواجها فى خلوة فأسرع اليها يقبلها ، فقالت له وهى ترنو اليه من طرف عينيها :

ــ اننا لا نقبل الآن .

وحسب يومها أنها تحذره من الاقتراب منها ، ولم يفطن الا الساعة وهو يتململ فى الاريكة ، الى انها كانت تدعوه الى ما يشتهيه ، فيدير وجهه ويمد بصره الى الباب الذى يخفى خلفه فردوس شبه عارية .

ونهض متوتر الاعصاب مرهف الاحساس ، تجرى الدماء الحارة فى عروقه وتهجس فى نفسه هواجس تستبد به وتدفعه دفعا الى حيث تختفى فردوس ، فيسير مسلوب الارادة حتى

اذا ما دنا من الباب يستيقظ فجأة ، ويشتد وجيب قلبه وتسمره رهبة عارمة فى مكانه ، ويتلفت حوله وهو زائغ البصر .

ومس اذنيه صوت مفتاح يدور فى الباب فانخلع قلبه وطارت نفسه شعاعا ، وفر مرعوبا الى غرفته وهو يزفر فى صوت مسموع ، فزاد اضطرابه خشية ان يصل زفيره الى مسامع الشيخ القادم فيفطن الى مشاعره الخبيثة التى تطفح بها نفسه .

ودخل الشيخ سويلم وهو يتلفت فى ريبة ، فلما وقعت عيناه على عرفة والفاه فى غرفته وحده اثلج صدره ، وسار الى غرفته وهو يضرب الأرض بقدميه ويتنحنح ليوهم فردوس انه على عهده لم تنبت فى نفسه بذور الشك ، وانه سليم القلب نقى السريرة .

ودخل الشيخ غرفته ، واشرأب عرفة بعنقه ليرى بعينيه ما رآه بخياله ، ولكن الشيخ اوصد الباب خلفه فى رفق ، ومرت لحظات انطلقت بعدها ضحكة فردوس المنغمة الطويلة الزاخرة بالنداء ، فأرهفت حواس عرفة جميعا ، واستيقظت فتوته فراح يغدو ويروح فى الغرفة وقد اتسعت عيناه ، يبلل شفتيه بلسانه .

وخرج الشيخ من الغرفة مسرعا وفردوس تشيعه بضحكاتها ، وذهب الى حيث كان عرفة فاذا بجميع مشاعر عرفة تموت فجأة ، ولم يبق الا نبض يتردد برهبة خفيفة ، تركت اثرا فى العيون المفتوحة .

واخذ الشيخ يجاذب الفتى الحديث فى ود يسأله عن المدرسة وعما يفعله فيها ، وعرفة يرد ردودا مقتضبة وهو مطرق . وتحدث الشيخ طويلا ورفع عرفة عينيه ينظر اليه فوقع بصره على خيط رفيع من الحلوى على خده ، فتيقن ان فردوس كانت تداعبه بالحلوى

نفر منها ، وهمت بسمة بأن تولد في قلبه واذا سفول الغيرة يتحرك ويبتلع البسمة ويأخذ في نهش جوفه ، فيطاطيء رأسه أسفا وتنتشر مرارة نفسه حتى يكاد يتذوقها بفمه .

وخرجت فردوس من غرفتها وانطلقت الى المطبخ ، وظلت في غدو ورواح لا يجرؤ عرفة على أن يخف اليها يعاونها وإن كان يشتهي ذلك في أعماقه ، ولا يلوي الشيخ عنقه ليراها خشية أن تلتقي عيناه بعينيها فيضحك برغمه ، وهو لا يحب أن يظهر امام الصبي عابثا .

كان الشيخ يحب فردوس من كل قلبه ويتمنى أن يشبع كل رغباتها ، ولكنه كان على ثقة من أنه ليس كفئا لها ، فبينهما هوة من السنين سحيقة تعيب علاقاتهما بالفتور ، لذلك كان يسرف في العطف والخضوع ويتحمل نزواتها راضيا لعل ذلك كله يعوض ما لا يملكه .

وبدأت فردوس ووقفت عند الباب وقالت :

ـــ تفضلا .

وتحرك الشيخ والشاب خلفه ، ومر الشيخ بفردوس وهو يغض من بصره ويكتم بسمة ولدت طلائعها على شفتيه ، ومر عرفة بها وراح يتفرس في وجهها الذي اشتدت حمرته من أثر الحلوى فاذا بمشاعره تتيقظ ، وبقلق شهي يتحرك في جوفه ، وبرغبة عارمة تمور بين جوانحه وتسري في بدنه رعدة محمومة ، فقد ارتبطت الحلوى في ذهنه بتصورات تثير شهواته .

وجلسوا حول الطبلية وقد أسبل كل منهم عينيه .. لم يكن

أحدهم ليقدر أن تلتقي عيناه بعيون الآخرين ففي رأس كل منهم فكرة يحرص على أن تظل سرا مكنونا .

وراح عرفة يأكل في فتور ، وسرعان ما غادر الطبلية وانطلق الى غرفته وفتح كتابا وأخذ يقرأ فيه ، ولكنه لم يفقه مما يقرأ شيئا . . كان مشغولا عن كل ما حوله بالأفكار المعربدة في رأسه .

ودخل الزوجان غرفتهما وأوصدا بابها ، فنحى عرفة الكتاب والقى به على الكنسول وتمدد في فراشه وأرخى لخياله عنانه ، فرأى نفسه في الدار في القرية وقد نام مع أمه وأبيه وأخوته في غرفة واحدة . كان يغمض عينية وينام ملء جفنيه قبل أن يعرف فاطمة ، ولكنه بعد أن عرفها وعرف ما بين الرجل والمرأة كان يتظاهر بالنوم ويحاول أن يظل صاحيا ليرى ما يفعل والداه ، ولكن ظلام الغرفة كان ثقيلا وكان النوم يغلبه قبل أن يحس شيئا .

وراح يتململ في فراشه وصورة فاطمة حاضرة في ذهنه ، يتمثل ما كانا يفعلان فيزداد انفعاله وتزداد ثورة نفسه ، ومر الليل في تصورات ولم ينم الا غرارا .

كان الليل يرخي أستاره ، والهدوء شاملا لا يعكره الا نقيق الضفادع ونباح كلب بعيد ، ونسيم الربيع يحمل أريج الحقول .. وراحت فردوس تتقلب في الفراش وتغطي وجهها بذراعها وهي مسبلة جفونها .. كانت تخشى أن تفتحهما فيفر النوم من عينيها .

وأخذت مشاعر الحب والحنين تنبثق في أغوارها واندلعت نار الصبابة في حناياها ، واستشعرت رغبة مستبدة تمور بين ضلوعها فتقلبت على جنبها بحيث أصبح وجهها ناحية الشيخ الذي كان يغط في نومه ، ولفت ذراعها حوله وضمته في قوة لتسكت الصراخ المنبعث من كل مشاعرها ، وظل الشيخ في سباته لا يحس النار المتأججة في الجسد الصادي الذي يهفو الى اطفاء الظمأ .

وفكرت في أن تهز سويلم وأن تتعمد أن ترتطم به في تقلبها حتى يطير النوم من عينيه ، ولكنها وأدت الفكرة بعد أن ضاقت بها .. كانت واثقة انه حتى لو استيقظ واستجاب لدعاباتها فلن يهدىء عواطفها المشبوبة ، بل سيزيد أوارها ويزيد في ضيقها .

وراحت تزفر حمم صدرها وتحاول أن تغري النوم ليداعب جفنيها ، ولكن احساساتها المتوترة كانت تطرد الكرى ، وتجلب الى ذهنها اخيلة توقظ مشاعرها وتثير وجدها .

وسرى في الجو مواء قطة ، وراح المواء يتردد ويمتد حتى صار أشبه بالأنين . كان مشحونا بدعوة صارخة للجنس ، فازدادت مشاعر فردوس ارهافا وتضخمت رغباتها حتى ملأت جوانحها ، وأحست كأن أبخرة من الاشتهاء تضغط صدرها حتى تكاد تكتم

انفاسها فلم تستطع ان تظل راقدة ، بل جلست فى سريرها مبهورة النفس .

وراحت تتلفت حولها فالفت الكون كله يستشعر اقبال الربيع الا ذلك الجسد الفانى الملقى الى جوارها تتردد فيه الأنفاس كما تتردد فى منفاخ ، فضاقت به وتحركت فى أعماقها مشاعر البغض والكراهية .

وولدت فى راسها فكرة ان تذهب الى غرفة عرفة تصلح وضع الغطاء عليه ، لعل حركتها تقتل ثورة عواطفها . واستراحت للفكرة فنحت الغطاء عنها وهبطت من السرير فى خفة ، ووقفت تصلح ثوبها ثم سارت على أطراف أصابعها حتى لا يستيقظ زوجها .

وخفق قلبها بين جوانحها وانتشرت مشاعر من القلق اللذيذ فى حناياها ، وانطلقت مسحورة تقودها عواطفها فقد صار راسها هواء . ودلفت الى الغرفة الغارقة فى الصمت التى لا يقوى على تبديد ظلامها النور الخافت المنبعث من المصباح المعلق فى المطبخ ، فطافت بها احساسات غاية فى الرقة ما كان يعكرها الا ذلك الخوف الواهن الذى لا تدرى له سببا .

وتقدمت كالطيف الى حيث يرقد عرفة ووقفت تنظر اليه وقد سرت فيها رعدة ، وجعلت تتطلع الى وجهه طويلا ومشاعر كثيرة تتفجر فى جوفها وأفكار غير واضحة بدأت تبذر بذورها فى راسها .

ووقعت عيناها على الغطاء الملقى على الأرض فمالت وتناولته وراحت تبسطه على الفتى النائم ، ودنا وجهها من وجهه فاذا بأنفاسها الحارة تختلط بأنفاسه ، واذا بيدها ترفع وتأخذ فى المرور على راسه فى حنان دافق .

وثبتت نظراتها على شفتيه ، فاشتد وجيب قلبها وجرى الدم حارا فى عروقها ، ومشى خدر لذيذ فى أوصالها وطافت بها غيبوبة .

ووضعت شفتيها على شفتيه وأخذت تقبله وهى ترتجف ؛

وهتك السكون مواء القطة المشحون بالنداء فانهارت جدر حصونها المتداعية ، ولفت ذراعيها حوله وطفقت تضمه اليها في جنون ..

واستيقظ عرفة على الضم والقبل فأخذ لحظة ، ولكن سرعان ما افاق من اثر المفاجأة وراح يندمج في الجو الذي وجد نفسه فيه بغتة ، فلف ذراعيه حولها وجعل ضغطهما يشتد عليها كلما زادت حرارة مشاعره الفتية التي تثيرها اقل مداعبة .

ولفهم صمت لم يكن يعكره الا الأنفاس الملتهبة والهمسات المكتومة ، وصوت نشيج خافت ، وطفرت الدموع من عيني فردوس . لم تكن دموع الندم على الخطيئة التي تمارسها ولا على الشرف المدنس ، بل كانت دموعا تنفس عن النشوة المتفجرة في غزارة في اغوارها والسعادة المعربدة في كل خلجة من خلجات نفسها .

ومر الوقت وهما غائبان عن الوجود ، انفصلا عن كل شيء الا عن انفسهما بل زاد احساسهما بذاتهما ، وخبت النار المتلظية في الجوانح فانسلت فردوس وعادت وهي تسير على أطراف أصابعها وتصلح شعرها بيديها .

واندست في الفراش ونظرت الى الشيخ الفاني الذي يغط في نومه ، فلم تتحرك مشاعر الاشمئزاز التي كانت تتحرك كلما قامت في الليل وهي تتلوى من الظمأ وهو هادىء ساكن لا يستشعر ما تكابده من مشاعرها الثائرة .

ومدت يدها ورفعت الغطاء عليه وأحكمته حوله ، ثم تمددت وقد وضعت راسها على كفيها وشردت تفكر في اللحظات المترعة بالمتعة التي مرت بها ، فلم تختلج فيها خلجة ندم بل كانت تستشعر سعادة طاغية ، وتمني النفس بحياة كلها لذة .

وارتسم على محياها رضا ، كانت تحس زهوا انها انتقمت من المجتمع الذي ظلمها يوم قدمها ضحية الى ذلك الشيخ الذي لا يقدر عليها .

ومشى الفتور فى جفنيها فنامت ملء عينيها وهى تشهق وتزفر فى انتظام ينم عن راحة تامة ، ورفت على شفتيها بسمة خفيفة تطوف دائما بالغارق فى حلم بهيج .

واشرقت الشمس وهى فى نومها العميق ، وراح سويلم يغدو ويروح فى الغرفة وهو يتطلع اليها فى استغراب فما كانت تنام من قبل حتى هذه الساعة . اعتادت أن تستيقظ معه فى الفجر تعد له القهوة وتلبى طلباته .

وتقلبت فى تكاسل وتمطت وفتحت عينيها فى فتور ، فلما وقعتا على سويلم ابتسمت وقالت :

— صباح الخير .

فقال وهو يرنو اليها فى ريبة :

— نوم العوافى ! عينى باردة عليك .

فرفست الغطاء بقدمها ورفعت رجلها الى أعلى ، ثم قفزت من السرير فى حركة رشيقة واصبحت منتصبة على الأرض أمامه . وأحست فى أعماقها أن عليها أن تفسر اسباب السعادة التى تشع من عينيها والتى تستشعرها فى كل حركة من حركاتها ، فنظرت الى زوجها فى خبث وقالت :

— حلمت بالأمس انك . .

ووضعت فمها على أذنه وهمست بكلمة ، ثم ضحكت ضحكتها الممدودة الزاخرة بالنداء . . وتحركت سعيدة ، وقبل أن تغادر الغرفة التفتت وقالت :

— اعد الافطار الآن أم بعد ان استحم ؟

وقال فى صوت خافت .

— لا داعى للعجلة ، نفطر بعد أن تستحمى .

وسرت فى صدره غيرة لم يدر لها سببا .

— ٦ —

وصار سويلم يرقبها بعين ملؤها الريبة ، فقد أحس فى أعماقه أنها تبدلت بعد اقبال عرفة ، وأصبحت امرأة أخرى أكثر فتنة وأشد رقة وعذوبة .

بات كلما نظر اليها ورأى إزدياد تورد وجنتيها وتفتح نفسها وسريان حياة جديدة في أوصالها ، يستشعر بالغيرة تلسع روحه وبالضيق بقبض صدره ، وبمرارة تعصف بكيانه ، وبحسرة قاتلة تكاد تكتم أنفاسه :

انها تتودد اليه توددا زاد على ما ألفه منها ، وكثر تقبيلها له ، ولكن قبلاتها تبدلت وصار لها طعم آخر . لم تعد قبلات محمومة يحس حرارتها فى روحه وان عجز عن أن يستجيب لها ، ولا قبلات مجاملة ، ولكنها قبلات فيها رضا المرتوى وفرحة السعيد .

كان يرى تحت عينيها مولد تعاسة أخفقت ضحكاتها المنطلقة الزاخرة بالنداء فى أن تخفيها ، بل كانت تشعلها وتزيدها ضراما ، وقد اجتثت تلك التعاسة ونبتت مكانها سعادة عارمة كدرت صفو حياته ، فقد كانت توسوس فى نفسه باتهامات بشعة تزلزل أرجاءه . وتثير فى روحه كوامن الكراهية والبغض والغيرة .

وبذر فى صدره الواهن قلق ، لم يعد يستطيع أن يستقر هادئا فى دكانه ، كانت فكرة خبيثة تقرع رأسه فجاءة ، وصورة مقيتة تجمع بين زوجه وعرفة تحتل خياله فيفزع ويعود الى البيت مهرولا محموما ، ويضع المفتاح فى الباب ويديره فى حرص ويتقدم على

أطراف أصابعه فيجدهما معا في المطبخ او في غرفة الصبي ، ولكنه لا يرى ما يشفي غليله فيضطر الى أن ينتحل عذرا لعودته المفاجئة ثم ينصرف وهو حائر لا يعرف له شاطئا ، تعبث به أنواء نفسه وتلعب به أمواج مشاعره المتقلبة العنيفة .

وأحس بها ذات ليلة وهي عائدة من غرفة الصبي ، فاشتد اضطرابه وربا قلقه وخفق قلبه في عنف ، فانتصب جالسا في سريره وقال في صوت متهدج نم عن انفعالات نفسه :

— أين كنت ؟

فلم تجفل ولم تضطرب ولم تقل انها كانت تقضي حاجة ، بل قالت في هدوء :

— كنت في غرفة عرفة احكم الغطاء عليه .

وصعدت الى جوار زوجها المنفعل وقبلته قبلة هادئة ، ثم تمددت في فراشها وسرعان ما مشى الوسن الى اجفانها ، وراحت انفاسها تتردد في اطمئنان وظل هو يرمقها في قلق يراوده شك قاتل ، وخطرت له فكرة ان يضغط على عنقها الجميل بيديه ويكتم انفاسها ، ومال نحوها واذا به يطبع على خدها قبلة .

كان يحبها من كل قلبه ، وكان في قرارة نفسه يحس أنه عاجز عن اطفاء ظمئها فكان لا يبخل عليها بشيء يملكه ويبالغ في ارضائها لعله يعوضها عما لا يستطيع أن يمدها به ، فكان يغفر لها بعض نزواتها ، واذا ما فعلت ما يثير غيرته انفعل مدة ، وراح خلالها يجهد نفسه في ايجاد المبررات التي تشفع لها عنده ، ويستمر في اقناع ذاته المتمردة حتى ترضى وتنقشع السحب المتلبدة في صدره .

كان هانئا قبل ورود ذلك الصبي ، ولكن صفو حياته تكدر بعد أن جاء عرفة الى البيت وأصبح موضع اهتمام فردوس ، فقد اصبح

يقاسي وخز مشاعره ولسع سخريته من نفسه لغيرته من غلام أصغر أولاده أكبر منه !

وعاد بعد الغروب كما اعتاد أن يعود كل يوم وقد وطن العزم على أن يطرق الباب وأن ينتظر حتى تفتح له زوجه ، ففي هـذا ايحاء بالثقة في نفسه وفي زوجته ، ولكن ما إن بلغ الباب حتى اخرج المفتاح واداره في الباب في حرص شديد ، ودخل على أطراف أصابعه يتلفت .

كانت فردوس في غرفة عرفة والصبي ممدود في فراشه وهي تميل فوقه في حبه وتمرر يدها على جبهته في حنان . انقبض قلبه وأحس كأن يدا قوية تهصره هصرا ، ومطرقة هائلة تدق رأسه ، وظلمة من الحنق تنسدل على ذاته فتعمي وعيه ، فيتقدم مسلوب الارادة كل ما يحسه رغبة جارفة تغريه بالبطش بهما .

وشعرت فردوس به فلم تجفل ولم ترفع يدها عن جبهة الفتى ، بل زادت دنوا منه وميلا عليه وقالت في هدوء :

ـــ سويلم ، ناولني ليمونة من المطبخ .

ووقف سويلم ينظر مشدوها دون أن ينبس بكلمة . كان غضبه قد بلغ نهايته وكان نفسه يتردد متتابعا في صدره ، وقالت فردوس :

ـــ عرفة محموم ، أظن انه سار مدة في الشمس .

وسرعان ما تبخرت مخاوف سويلم وصفا جوفه وسلم قلبه ، فقال ناصحا :

ـــ صبي في اذنيه ماء وملحا .

فقالت فردوس وهي ترفع عرفة بين يديها وتصلح الوسادة تحت رأسه .

ــ آتني به .

يذهب الشيخ الى المطبخ يذيب الملح في الماء ، ومالت فردوس على الصبي تقبله وتضمه الى صدرها .

وعاد الشيخ بكوب ماء أذيب فيه ملح ، ومدت فردوس يدها لتأخذ منه الكوب ولكنه تقدم وراح يصب الماء في أذني الفتى ، ولما انتهى من عمله التفت الى فردوس وقال :

ــ من الأفضل أن نتركه وحده يستريح .

وسار وهو يحسب أن زوجه ستتبعه ولكن فردوس بقيت الى جوار الفتى تزيد حرارته ارتفاعا بقبلاتها .

ودخل سويلم غرفته وأخذ يخلع ثيابه وحده وهو يستشعر ضيقا ، وتريث ولكن فردوس لم تقبل فنادى :

ــ فردوس .. فردوس .

فأقبلت متبرمة وقالت :

ــ ماذا تريد ؟

فقال وهو يشيح بوجهه عنها حتى لا ترى الكدر في عينيه :

ــ أعدى العشاء .

وذهبت الى المطبخ وسرعان ما كان الطعام معدا ، وعادت الى زوجها وقالت :

ــ العشاء عندك .

وهمت بالانصراف فقال لها :

ــ ألا تأكلين ؟

ــ كل أنت .

وانطلقت الى غرفة عرفة ، وجلس الزوج يتناول طعامه وهو

يتلفت ، حس كراهية لذلك الفتى الذى سلبه زوجته وجعله يأكل لأول مرة وحده .

وقام الشيخ ولم يسغ طعامه ، ودخل غرفته وجلس ينتظر عودة فردوس ولكنها ظلت الى جوار الفتى تمرضه ، فضاق صدره ونفد صبره ونادى فى انفعال :

ـــ فردوس .. فردوس .

واتجهت فردوس اليه وهى ضيقة بندائه ، ووقفت امامه وقالت فى استخفاف :

ـــ نعم !

فقال غاضبا :

ـــ نريد أن ننام .

فقالت وهى ترفع الغطاء عن السرير :

ـــ السرير أمامك .

فاتسعت عيناه الضيقتان وقال فى انكار :

ـــ وانت ؟

ـــ كيف اتركه وحده وهو مريض ؟!

فقال فى فزع :

ـــ اتقضين الليل فى حجرته ؟

فقالت فى هدوء وهى تبتسم :

ـــ وماذا فى ذلك ؟!

ـــ واين تنامين ؟

ـــ على الأرض بجوار فراشه ، حتى اذا احتاج الى شىء لبيت نداءه .

فقال الشيخ فى انفعال :

ــ لا ! لن يكون شيء من ذلك . . ستنامين هنا فى سريرك .

وأحست الثورة فى نبراته فقالت وهى تدنو منه وتداعبه :

ــ لا تحزن ، سأنام الى جوارك .

واخذت فى اعداد فراش على الأرض بالقرب من السرير ، فقال الشيخ فى دهش :

ــ ماذا تفعلين ؟

فقالت دون أن تلتفت اليه :

ــ سينام معنا حتى لا اضطر الى أن أذهب اليه مرارا فى الليل لاطمئن عليه .

فقال فى ضيق :

ــ ألا تتركينه وحده فى غرفته ليستريح ؟ .

فقالت وهى تدنو منه وعيناها فى عينيه :

ــ انه مريض .

ومالت على الشيخ وطبعت على خده قبلة لم يرتح لهـــا بل حركت وساوسه ، بات يخشى ذلك العطف الذى تغمره به منذ قدم عرفة الى داره ، ومارت فى جوفه انفعالات تنهش صدره ولكنه ظل مطرقا لا تتحرك شفتاه بكلمة .

وانطلقت الى عرفة وطلبت منه أن يقوم لينام معها ومع زوجها فى غرفة واحدة ، ولكنه أبى فظلت توسوس له وتغريه حتى أطاعها وسار الى جوارها .

كانت حرارة عرفة مرتفعة قليلا ولكنه ما كان يحس توعكا . ولو تركته فردوس لعكف على استذكار دروســـه او لنام ملء جفنيه .

ودلف الى غرفة الزوجين فتظاهر بالاعياء حتى خيل للشيخ

أن الفتى ينوء ، وسندته فردوس بذراعها ومالت معه وهو يميل ليتمدد فى الفراش المبثوث على الأرض .

وراح الزوج يتلفت فى حيرة وقد ملأ الحنق صدره ، وتحرك حياؤه فتملكه خجل من أن ينام الى جوار زوجة وفتى غريب معهما فى غرفة واحدة .

وذهب الى المصباح وخفت ضوءه ، ولو طاوع نفسه لكتم انفاسه وترك المكان فى ظلام دامس حتى لا يراه الفتى اذا التصق جسمه بجسم فردوس عفوا ، وحتى لا تقع عيناه على ساقيها اذا انحسر الغطاء عنهما .

وسار الشيخ نحو السرير وقد تقاصرت نفسه ، وصعد اليه فى حرص وخفة ، واخذ يتمدد هونا حتى لا يئن السرير ويبلغ انينه مسامع الفتى الراقد على بعد أمتار منه .

ومدت فردوس يدها وتناولت قميص النوم فخفق قلب الشيخ فى شدة ، واستولى عليه هلع خشية أن تخلع ثوبها فى الغرفة وتقف نصف عارية تحت بصر ذلك الذى شاركه غرفة نومه رغم انفه . وفكر سريعا فيما يفعله لو همت بخلع ثوبها دون أن يلفت نظر الفتى ، فقر ريه على أن يقفز من سريره وأن يدفعها أمامه وهو يحجبها بجسمه عن الراقد على الأرض ويجرفها أمامه حتى تخرج من الغرفة .

وتحركت فردوس وقميص النوم فى يدها وغادرت المكان ، فزفر الشيخ فى راحة وان ظلت أعصابه متوترة ، ومرت لحظات من الصمت عادت بعدها فردوس وقد ارتدت قميص النوم وفى يدها ثوبها .

وعلقت الثوب فى المشجب وذهبت الى السرير وصعدت فيه

ونامت في الطرف الذي يطل على عرفة النائم على الأرض ، وابتعد الشيخ عنها واستقر على الطرف الآخر .

وراح الوقت يمر ، وانتظم نفس الشيخ ثم راح يغط غطيطا ، فرفعت فردوس وسطها وجعلت تتفرس في وجهه وتيقنت من نومه ، ولكنها ارادت أن تتأكد أنه راح في سبات فهزته هزا خفيفا واصلحت وضع رأسه على الوسادة ، فخفت شخيره وان ظل غارقا في النوم .

ونحت الغطاء عنها في خفة ، وانسلت من جواره كما تنسل الافعى وعيناها لا تفارقان وجهه ، ثم رقدت على الأرض الى جوار عرفة وانسدل عليهما غطاء واحد .

— ٧ —

عاد سريلم الى البيت قبل اذان المغرب فقد احتلت فكرة اختلاء فردوس وعرفة والشيطان ، فأحس ضيقا وقلقا ووحشا قاسيا ينهش جوفه ، ولم يستطع أن يصبر على قسوة مشاعره فانطلق مفزوعا مكروب النفس الى الدار .

ووضع المفتاح في حرص وأداره في أناة ودقات قلبه تدوى في أذنيه ، وفتح الباب وقبل أن يتقدم خطوة وقف مشدوها حائرا يفرك عينيه بظهر يده ليزيح الغشاوة التى انسدلت فجأة على عينيه ، خيل اليه انه رأى فردوس وعرفة يبتعد أحدهما عن الآخر في فزع ، وراح وهمه يؤكد له أن فمها كان على فمه ، ولكنه لم يكن واثقا من اتهام أوهامه فقد خانة بصره ، لم ير شيئا واضحا ، كل

ما أحسه حركة سريعة لا يدرى ان كانت حقيقة او وهما من الأوهام .

وتقدم خطوات وريبة قاتلة تستولى عليه ويدا قوية تهصر فؤاده . ومر بين فردوس وعرفة وهو عابس الوجه ، ولم يلق عليهما تحية ولم ينبس بكلمة وقد أسبل جفنيه على عينيه ، خشى أن يقع بصره على احدهما فيفلت منه زمام نفسه ويتدفق السباب والاتهام من فمه دون وعى .

ودخل غرفته وفردوس فى اثره ، وأحس الباب يغلق عليهما فربا قلقه . وزاد اضطرابه لما تقدمت فردوس منه وأخذت تعاونه على خلع ثيابه وهو يتحامى أن تلتقى عيناه بعينيها .

وجلس على مقعد قريب من السرير يفكر فى حقيقة مشاعره الثائرة بين جوانحه ، وهو يتطلع الى فردوس من بين أهدابه فيهيره ذلك الهدوء الذى يغشاها . وكادت النار المندلعة بين ضلوعه تخبو والهواجس التى تمور فى اغواره تسكن ، ولكن فردوس تقدمت منه وطوقته فى دلال وقبلته قبلة طويلة لم يستشعر حرارتها ولكنه احسها سما زعافا يسرى فى بدنه .

وسرت فيه قشعريرة وهاجت وساوسه وتضخمت ريبته ، وزادت النار المشتعلة فى جوفه تأججا وراح هاتف من نفسه يؤكد له ان ما رآه حقيقة وقعت وليس وهما من الأوهام .

واخذت فردوس تتحدث وتضحك ضحكتها المدودة الزاخرة بالفداء وهو لا يعى مما تقص شيئا ، فقد كان مستغرقا فى المشاعر المنبثقة فى اغواره مصغيا لوسوسات الاتهام .

وقالت فردوس :

ـــ ساعد العشاء .

وخرجت من الغرفة وهو غافل عنها ، وان كانت افكاره

ومشاعره وخلجات نفسه وخفقات قلبه ركزت أضواءها عليها ، وراحت تحاول جاهدة أن تهتك الظلمة التي تغلفها لتبدو حقيقته عارية بلا أستار .

ومر الوقت دون أن يشعر به ، كان في شبه غيبوبة فقد فاضت مشاعره حتى غمرته وكاد يفقد الاحساس ، وأفاق على صوت فردوس وهي تقول :

ـــ تفضل .

وقام صامتا وسار الى حيث وضعت الطبلية ، وقبل أن يجلس ارتفع صوت فردوس ينادي :

ـــ عرفة .. عرفة .. تعال .

وخيل للشيخ أن في صوتها رقة وأن له نغمة خاصة حانية وأنه زاخر بالانفعالات ، وأن نطق اسم الفتى نم عن مشاعر كثيرة كامنة في أعماق النفس الغامضة ، فاضطرب الشيخ حنقا واستبد به الأسى .

والتفوا حول الطبلية وامتدت الأيدي الى الصحاف ، وســـاد الصمت وراح الشيخ يرصد حركات الزوجة والفتى من بين أهدابه المسبلة ، والتقت عينا فردوس بعيني عرفة أكثر من مرة .. كانت نظراتهما عابرة لا تفضح شيئا ، وتظاهر الشيخ بالانشغال عنهما بورك الدجاجة الذي كان يعالجه بيديه ، وانتهزت فردوس الفرصة ورمزت بعينها لعرفة في خفة ، ولمح الشيخ ما فعلت فأحس كأن خنجرا سدد الى قلبه وتقيحت نفسه حتى خطر له أن يلقي بما في يده في وجهها ، وأن ينقض على الفتى ينشب أظافره في صدره .

وراحت تفاحة آدم الناتئة في عنقه تتحرك صاعدة هابطة .. كان يجاهد في ابتلاع ريقه الذي جف ، وعافت نفسه الطعام فطفق ينظر زائغ البصر دون أن تتحرك يده .

وفطنت فردوس الى أنه لا يأكل فرمقته برهة ثم قالت :

ـــ لماذا لا تأكل ؟

وأرادت أن تداعبه فقالت له :

ـــ لعلك تزوجت واكلت عند زوجتك الثانية !

وضحكت ضحكتها الممدودة الزاخرة بالنداء ، وابتسم عرفة وغض من بصره خشية أن تلتقى عيناه بعينى الشيخ ، وأحس الشيخ قهرا ولم تتحرك شفتاه ولن كانت الفاظ السباب القاذعة تتدفق مع أنفاسه دون أن تخرج من فمه .

وابتعد عن الطبلية ، وقالت زوجه وهى تشير الى صفحة بها عسل نحل :

ـــ كل عسل .

ورن فى أغواره صوت ساخر يردد : « كل عسل مع الناس .. كل عسل مع الناس » ، فانتفض وانتصب واقفا ليطرد ذلك الصوت الذى يخزه وخزا قاسيا ويلهب روحه بسياط الاستهزاء ، وانطلق الى غرفته وطفق يغدو ويروح وهو يشهق ويزفر فى صوت مسموع .

وراح صوت هادىء يعيد على مسامعه قصة الشيخ الذى شكا اليه تلاميذه سوء سلوك زوجته الجميلة ، وظلوا يزينون له الانفصال عنها حتى طلقها وزوجوه امراة شريفة دميمة . وجاءوا اليه بعد مدة يسألونه رايه فى الزوجة الجديدة فقال لهم : كنت آكل عسلا مع الناس فأصبحت آكل الزفت وحدى . ورن فى أغوار سويلم الصوت الهازىء « كل عسل مع الناس » فثارت نفسه ، واخذ يمرر يده على وجهه ليمسح المشاهد البشعة التى بدات تتشكل فى ذهنه .

واحس سويلم احتقارا لذلك الشيخ الذى سمح لنفسه ان

تعترف بأنه كان يأكل العسل مع الناس ؛ كيف رضي لنفسه هذا الهوان ؟ كيف رضي ان يمرغ شرفه في الوحل في يسر ؟ وراح يسب ذلك الشيخ ويلعنه كأنما كان واقفا أمامه ، وسرعان ما استشعر تقاصرا فقد خيل اليه انه يسب نفسه .

وتلبدت ريبة وأوهامه في صدره واشتدت تفتنه قتاما ، فانهال في خياله فردوس وعرفة ضربا ولطما وصفعا ، وأخذ يلتقط انفاسه في جهد كأنما يلتقطها من ثقب ابرة .

ودخلت فردوس الغرفة واغلقت الباب خلفها ، واتجهت الى زوجها الذي كان يتحاشى أن تلتقي عيناه بعينيها وقالت :

— انت مشغول البال الليلة ، فيم تفكر ؟

فقال دون ان يلتفت اليها :

— لن أقبل عرفة في بيتي بعد هذه السنة .. لن اقبله ابدا .

وطارت نفس فردوس شعاعا وقالت في خوف :

— لماذا ؟

— لانني لا اطيق ان أرى رجلا غريبا في بيتي .

فقالت فردوس وهي تجمع شتات أمرها :

— رجل ؟ .. غريب ؟ .. انه طفل .. تلميذ في مدرسة ، وسيظل طفلا حتى يتم دراسته .

فقال سويلم في انفعال :

— انه رجل ، ولو تزوج لانجب أولادا .

فقالت فردوس في تحد وقد افاقت من المباغتة وملكت زمام عواطفها :

— وحتى اذا كان رجلا فسيظل في بيتي ، انه قريبي ولن اقبل ان يقال انني ضقت بقريبي وأوصدت بابي دونه .

ـــ وانا لن اقبل ابدا أن يقال ان بابى مغلق على زوجتى ورجل غريب .

ـــ لا تقل « غريب » . انه قريبى .. ابن خالتى .

ـــ انه ليس ابن خالتك ، وحتى لو كان ابن خالتك الا يحل لك ؟!

ـــ ولكننى فى عصمة رجل .

واحس هوانا ، فما كان يثور هذه الثورة لو كان ما يزال شابا ولكنه شيخ ذابل جفت ينابيعه وهى ظمآنة . ان غيرته تزيد غضبه ضراما فقال فى انفعال :

ـــ لن يعود نعرفة الى دارى بعد هذه السنة .. لن تطأ قدمه بيتى .. هذا قرارى .

فقالت فردوس وقد اتسعت عيناها :

ـــ اذا اصررت على الا يعود فسأذهب معه .

ـــ ماذا تقولين ؟ تذهبين معه ؟ !

فقالت وهى تتظاهر بالانكسار :

ـــ نعم ، سأذهب معه حتى يعرف اهلى اننى غلبت على أمرى وان هذه مشيئتك .

وضايقتها فكرة بعد عرفة عنها فاجهشت بالبكاء ، وقالت فى عبارات نخنقها العبرات :

ـــ لو كان قريبك ما فكرت فى طرده ، ولكنك تطــرده لانه قريبى ، لانك تريد أن تذلنى بين اهلى .

وصاحت وهى تبكى تدافع عن حياتها الجديدة التى تعلقت بها والتى يتهددها الدمار :

ـــ لن اقبل هذا الذل ابدا .. لن اقبل هذا الذل ابدا .

فرأى الشيخ الدموع المنهمرة على خديها فألجم لسانه وان

كانت انفعالاته الثائرة تمور فى أغواره ، وسار مطرقا نحو السرير وصعد اليه واستلقى على ظهره وشرد ببصره ينظر الى عروق الخشب فى سقف الغرفة ، وصدره ينتفخ كالقربة ثم ينكمش كمثانة انفجرت فجأة .

وانسلت فردوس الى السرير وهي تبكي ، ونامت وقد أعطت ظهرها لزوجها اعلانا لخصامها وعدم رضائها عنه .. واستمرت فى نحيبها وهى تتعمد أن يكون مرتفعا ليصل الى مسامع الزوج ويفعل به أفاعيله .

وراحت خلجة رقيقة تنبض فى جوفه ، ثم تحركت مشاعره الرواقص تتقدم فى حنان فى صدره لتطرد من أمامها احساسات الأسى .. وصفت نفسه وافعمت بالرقة ، وخطر له أن يمد يده يمسح دموعها وأن يضمها الى صدره ولكنه راح يقاوم هذه المشاعر حتى لا يبدو أمامها ضعيفا متهالكا .

وتململ فى رقاده ودنا قليلا منها وهم بأن يمرر يده على شعرها فى حنان ، ولكنه كبح زمام رغبته .. وراح الوسن يداعب عينيه ماطبق جفنيه واستسلم للكرى .

وكفكفت فردوس دموعها واستشعرت رغبة جامحة تستبد بها ، انها تحن الى ذراعين قويتين تلتفان حولها وصدر حنون يحتويها وأنفاس حارة تذيب المشاعر القلقة المنبعثة فى أعماقها .

ونظرت من فوق كتفها الى الشيخ الراقد الى جوارها فألفته يغط فى نومه ، فانسلت من جواره فى خفة ، وسارت على أطراف أصابعها وهى مسحورة بالاحساسات الناعمة التى تدغدغ حواسها والقلق الشهى الذى يدب فى روحها والوهم الكبير الذى كان يقودها .

ودلفت الى غرفة عرفة وقلبها يدق دقا رقيقا ، ودماؤها تتدفق حارة فى عروقها ، وشبه غيبوبة تغمرها ، وارتمت على الفتى لتذوب فيه وتطمئن الى انه معها لا يفرق بينها وبينه شىء .

ومر الزمن يطوى فى جوفه أسرار البشر ، وتقلب الزوج فى سريره واحس انه يتقلب فى حرية دون ان يرتطم جسمه بجسمها أو تحتك قدمه بساقها ، ومد يده يتحسس فلم يجد الا فراغا ، ففتح عينيه مفزوعا ودق قلبه فى عنف وتدفقت انفعالاته فى ثورة ، وأدار عينيه فى المكان وهو زائغ البصر ، فلما لم يجدها انبهرت انفاسه وغادر السرير وهو يكاد ينهار من الكمد .

وتقدم وقلق شديد يجتاحه وريبة قاتلة تزلزل كيانه ، وخوف من المجهول يستبد مبه ومشاعر ثقيلة تجثم على صدره ، ويبلغ باب الغرفة فالفاها قادمة تصلح ثيابها ، منكوشة الشعر متوردة الخدين حافية القدمين ، فقال لها فى صوت متهدج مضطرب :

— اين كنت ؟

فقالت دون ان تضطرب :

— فى دورة المياه .

والجم ولم يجد ما يقوله فذهب الى حيث وضعت القلل ، ورفع قلة وجعل يتجرع الماء منها فى صوت مسموع ، واحس الماء البارد يجرى فى جوفه ولكن لم تنطفىء النار المندلعة فى حناياه .

وعاد الى فراشه وهو يحاول ان يبدو هادئا ، ولكن الأفكار البشعة وجدت مرعى خصيبا فى رأسه فراحت تتضخم وتضغط عليه فيئن أنينا مكتوما يدمى روحه ويزيد أساه .

وراد ت اوهامه تؤكد له انها كانت هناك فى غرفة عرفة بين احضان الفتى ، فأحس كأن طعنة خنجر سددت الى قلبه . . والتفت

انيها في حنق فألفاها مسبلة العينين مستسلمة للنوم الهادىء اللذيذ منتظمة الأنفاس ، فربا ضيقه وثبتت انظاره على عنقها الطويل ونحرها العارى وراودته فكرة أن يتمض بيديه على عنقها وأن يضغط عليه حتى يزهق روحها ، ولكنه راح يطرد الفكرة من راسه .. انه يحبها .. يهواها .. يريدها لنفسه خالصة .. انه عرفة الذى ينبغى أن يبعد .. أن يزال من طريقه .. أن يختفى من حياتها .

وطفق يفكر فى عرفة وفيما يفعله به ليتخلص منه ، ونبتت فى راسه أفكار كثيرة راح يقلبها ويقارن بينها ، واخيرا ارتاح الى فكرة بعينها فوطن العزم على انفاذها .

— ٨ —

القى عرفة ورقة الامتحان على الكنسول وخلع ثيابه وارتدى جلبابه المخطط وارتمى فى الفراش وأرخى لخياله العنان ، فلم يفكر فى الأيام الباقية على انتهاء امتحان آخر السنة ، ولا فى رفاق المدرسة ولكن شغلت راسه دارهم المتواضعة فى القرية ، وامه الجالسة فى ركن من القاعة تعد الطعام واخوته حولها يتصايحون ، وأبوه وهو مقبل من عملة والشمس تلفظ آخر انفاسها ، وصوت مؤذن القرية يؤذن بالمغرب يدعو الناس الى الصلاة والأوبة الى دورهم .

ونبتت فى جوفه مشاعر رقيقة واستشعر حنينا الى اهله ، فخفق قلبه شوقا وانتابه ضعف فغص وترقرقت الدموع فى مآقيه

فراح يمسحها بظهر يده في راحة ، وقد استسلم للأفكار اللذيذة النابضة في ذهنه .

وانفعم بالشوق وتحرك ليفعل شيئا يطمئن به مشاعره الهائجة فغادر فراشه وراح يصر حوائجه في « البقجة » التي جاء بها من قريته وهو مشبع بالغبطة ، يتمنى أن تطوى الأيام الباقية سريعا ليعود الى حياة القرية التي يشتهيها .

ودلفت فردوس الى الغرفة ووقفت ترقبه مليا وهي تعجب ، وراحت تتساءل في نفسها عما يدفعه الى تجهيز حوائجه وأمامه حتى ينتهي امتحانه ثلاثة أيام طويلة ! ان دقائق قليلة كفيلة بوضع كل ما يملك في الصرة .

وهمس في ذاتها هامس يسأل : أيسافر الى أهله عقب انتهاء امتحانه مباشرة ؟ أيتركها للظمأ بعد أن وجدت عنده ما يروى غلتها ؟ واذا أراد أن يسافر أتتركه أم تغريه على البقاء ؟

ما الذي يغريه على العودة ؟ ألا يجد عندها ما لا يجده في داره ؟ انه ينعم بغرفة وحده ، ويأكل كل يوم طعاما ما كان يأكله الا في الأعياد ، ويسعد بها ، ألا يكفيه كل هذا ليبقى ؟ !

واحست ضيقا .. فطنت من حركاته انه يتعجل الزمن ليتركها ، آه لو ذهب لصارت حياتها فراغا . انها لا تطيق أن تتصور انه سيتركها . ليتها تجد عذرا تنتحله لتعود معه الى القرية ، أو ليته ستويلم بغضب منها ويأمرها ان تذهب الى أهلها فتنطلق معه سعيدة لا تفارقه حتى تنقضي اجازته !

ان هذا الفتى ملأ حياتها .. أذاقها ما لم تذقه طوال سنين زواجها .. خفق له قلبها خفقات شهية .. شغفت به حبا . أكانت تصدق أنها ستهيم يوما بصبي لما يتجاوز الخامسة عشرة !

وتقدمت منه وقالت وهي تبتسم :

— من يراك وانت تصر ثيابك يحسبه أنك مسافر الساعة ؟

وسرعان ما غاضت ابتسامتها ، كان رنين صوتها في جوفها مقبضا فقالت في صوت فيه اسى :

— لماذا هذه العجلة ؟

فقال عرفة وقد شرد ببصره بعيدا :

— احس شوقا عظيما الى امي وابي واخوتي بل الى جدران دارنا ، اتمنى ان اغمض عيني فاجد نفسي بينهم .

فرنت اليه بعيون مفتوحة ، وتحركت عقارب غيرتها ولم تستطع أن تكبت مشاعرها فقالت في عتاب :

— وانا ؟

فنظر عرفة اليها نظرة بلهاء ، لم يفهم ماذا تريد فقال في حيرة :

— ماذا ؟

فقالت في صوت متهدج :

— هل ستذكرني ؟ هل ستشتاق اليّ ؟

فقال دون أن يضطرب أو تطرف عيناه :

— طبعا .

وكان كاذبا في قوله فلم تخطر له على بال لما فكر في عودته الى أهله ، ولم يستشعر حسرة لانه سيخلف وراءه شيئا يحبه . انها دخلت حياته كما دخلت الفتيات اللاتي عرفهن قبلها ، لقد كان لها سحر اول عهده بها ولكنها لم تترك في قلبه اثرا ، لم تزد في نظره عن فتاة لعب معها لعبته المفضلة ثم عاد كل منهما الى بيته .

احس نحوها مرة احتقارا وفكر في ان يفر منها ، ولكن حتى

ذلك الاحساس تبخر وصارت بالنسبة اليه شيئا يقضى معه لحظات مترعة بالمتعة الجسدية ثم يمر كل ما أحسه مرور الأنفاس التى دخلت رئتيه وخرجت منهما دون أن يذكر من ذلك شيئا .

ورن صوته فى أذنى فردوس زاخرا بالرياء ، لم يكن له تهدجات اضطراب المحبين ، ولم يكن له ذلك الطعم اللذيذ الذى كانت تتذوقه لما كان يهمس لها بالفاظ تافهة أول عهدها به . واستشعرت ضيقا وامتلأت رغبة فى أن تنتزع منه اعترافا بحبه فقالت له :

— اتحبنى ؟

وارهفت حواسها ، كانت تتمنى أن يقول لها انه يعبدها وانه لا يستطيع أن يعيش بدونها ، ولكنه قال فى بساطة :

— طبعا .

وثارت مشاعرها وسرت فى بدنها رعدة ، وانسدلت على عينيها غمامة فلم تعد ترى شيئا وغمت عليها احساساتها ، وارادت أن تقضى على ذلك القلق الذى تفجر فى أعماقها فتقدمت الية وضمته الى صدرها وراحت تقبله فى نهم وانفعال ، وسرعان ما استجاب لندائها .

وعادت الى غرفتها هادئة وتمددت فى فراشها وقد أسبلت عينيها فى استسلام وبدأ الوسن يداعب جفنيها ، واذا بسؤال راح يتدسس الى رأسها « هل الاستجابة دليل الحب ؟ » وشغل تفكيرها بالسؤال والاجابة عنه ، وراحت توهم نفسها أن استجابته لها دليل على حبه ، ولكن وساوس الشك كانت تبتلع الأوهام .

وباتت تترجح بين افكارها حائرة ، لم تكن واثقة الا من شىء واحد هو أنها تحبه وأنها تتمنى أن تقضى ما بقى من عمرها معه .

آه لو كان أكبر من سنه وقادرا على ان ينفق عليها وأشار لها باصبعه أن تتبعه ، لفرت معه دون تردد أو تفكير في معبة ما تفعل .

وجاء الليل واغلق باب الغرفة عليها وعلى زوجها ، فراحت تتمسح به وتداعبه وتضع قبلاتها حيثما تقع ، فأوجس سويلم خيفة واخذ يتأهب لسماع رغبة جديدة من رغباتها .

ولفت ذراعها حول رقبته واسندت راسها على كتفه فراح شعرها يداعب خده الخشن الخائر ، وقالت في صوت منكسر مشحون بالرقة والرجاء :

— سويلم ، اشتقت الى اهلى اريد أن أزورهم .

فقال سويلم في نبرات هادئة :

— هل لك أهل غيرى بعد أن ماتت أمك ومات أبوك ؟ الم تقولى لى انك امى وانتى أمك وأبوك ؟ !

فقالت وهى تزداد التصاقا به :

— انت الخير والبركة ، ولكننى احن الى زيارة قبر ابى وامى . ورؤية خالتى وأبناء خالتى .

— وهل زارك احد منهم ؟

فقالت في صوت حالم :

— الم يبعثوا الى " مرفة ! !

واحس كأن خنجرا صوب الى قلبه ، واذا بخاطر يزحف الى رأسه يهمس بأنها لا تبغى زيارة قبر امها وأبيها ولكنها لا تطيق فراق الفتى ... تريد أن تكون معه ، فاهتز كيانه وانقبض صدره وثارت مشاعره وهم بأن يصيح فيها ، ولكن ضغط احساساته الشديد حبس صوته وكاد يكتم أنفاسه .

وكانت فردوس تهيم في أمانيها فلم تحس انفعال الرجل الملتصق بها ، وقالت وهي شاردة ببصرها وذهنها معا :

ـــ سأسافر مع عرفة وسأنتظر حتى تأتي لتأخذني ، ما اجمل هذا ! ستعيد ايام سعادتي . . سأحس تلك الاحساسات الغامضة اللذيذة التي كنت احسها في الأيام الحلوة التي سبقت زفافنا .

وانفجر مرجل غضب الزوج فقال وهو يبعدها عنه بكتفه :

ـــ لن يكون هذا أبدا .

وافاقت من حلمها فنظرت إليه بعينين مفتوحتين وقالت :

ـــ لماذا ؟

فقال والغيرة تنهش فؤاده :

ـــ قلت لك انني لا أريد عرفة في بيتي ، ولا احب ان تكوني في مكان يكون فيه عرفة .

ـــ لماذا ؟

فقال في غيظ :

ـــ لانني أكرهه . . أمقته . . أبغضه . . لا أحبه .

وضاقت الدنيا في عينيها ، وتحركت مشاعر كثيرة متباينة في اغوارها فانفجرت قائلة :

ـــ لماذا ؟

واحس كأن سوطا هوى على وجهه ، فقال وصـــدره يعلو وينخفض :

ـــ لانه . . لانه . .

ولم يستطع أن ينطق الكلمة التي ملأت رأسه وفمه ومزقت كيانه ، فهب واقفا وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يرتجف يحس كأنه سينفجر ويتطاير أشلاء ، ووجدت فردوس الفرصة

مواتية لاثارتة وارغامه على اهانتها لتجد فى ذلك تكئة لغضبها وعودتها الى أهلها ، فقالت وهى تقف فى طريقه متحدية :

ـــ لأنه ماذا ؟ قل .

فقال وهو يزيحها بيده من طريقه :

ـــ كفى .. اسكتى .

فقالت فى عناد :

ـــ لن أسكت قبل أن أعرف ماذا يدور فى رأسك .. قل لأنه ماذا ؟

فقال فى ضيق :

ـــ اوه .. والله ان لم تسكتى لأذهبن اليه الآن وأكتم أنفاسه .

وكان يذرع الغرفة فى طريقه الى الباب ، فأسرعت فردوس دون تفكير الى الباب تسده بجسمها وقد عزمت على أن تقاوم زوجها اذا ما فكر فى مغادرة الغرفة ، ولكنه ظل غاديا رائحا وهو يقول فى حنق وهو يصرف أنيابه :

ـــ سأقتله .. سأقتله يوما .

وجعلت فردوس ترصد حركاته دون أن تنبس بكلمة وقد أوجست منه خيفة .

— ٩ —

كان الوقت ضحى والشقة هادئة لا يسمع فيها الا وسوسة اساور وارتطام نحاس بنحاس بين لحظة واخرى وخرير ماء ، فقد ذهب سويلم الى دكانه ، وانطلق عرفة الى تأدية امتحانه ، ودخلت فردوس تغتسل . .

كانت فردوس تستحم عقب أن تهب من نومها وقبل ان تعد طعام الافطار لزوجها ، ولكنها قرأت فى عينى زوجها ريبة ووخزها مرآته بكلمات مغلفة بدعابة نطقت بالشك الذى يساوره ، فصارت تنتظر حتى يخرج وتولى وجهها شطر الحمام .

وانقضت فترة صمت طويلة ، كان الكوز فى يد فردوس ولكنها لم تمده اتملاه من الطست الموضوع تحت صنبور الماء فقد شردت ببصرها تفكر ، لم يبق الا يومان على سفر عرفة تعود بعدهما الى حياة الحرمان والجفاف ، ولن تعرف الحمام الا يوم الجمعة لتزيل عرق الاسبوع وتبدل ثيابها التى اتسخت .

وطافت بها سحابة من الاسى ، وربت سحب الحزن وتراكمت لما تذكرت انها لن تستطيع أن تذهب الى عرفة فى قريتهم اذا هزها الشوق اليه ، فقد كانت ثورة زوجها عارمة لما طلبت منه أن تزور اهلها . انه يشك فى العلاقة التى بينها وبين عرفة ، وانه ليهم بأن يلقى الاتهام فى وجهها ولكن كبرياءه تلجم لسانه .

قال لها مرارا انه لايطيق فراقها ، ويا طالما عبر لها عن حبه ،

انه صادق فى مشاعره ولكن رقة الكلام ما كانت بقادرة على اخماد انفاس الغول الذى غذاه عرفة بشبابه فزاده ضراوة ووحشية .

وتدسست الى رأسها فكرة : أخلت الدنيا من الرجال ولم يعد فيها الا عرفة ؟! اذا سافر عرفة فما أكثر الرجال الذين يتمنون أن ينالوا ما ناله عرفة ، ولم تفزعها الفكرة ولم تحاول وادها وان أحست عدم راحة ، كانت فى أعماقها تفضل أن تدوم علاقتها بالفتى وأن تقتصر عليها .

وفكرت فى سوليم واذا بالعجب يملؤها ، لماذا يغار كل هذه الغيرة لمجرد شكه بأن هناك شيئا بينها وبين عرفة ؟ انه لم ير شيئا أنكره ولكنه أحس احساسا غامضا عذبه ، ولكن لماذا يتعذب ؟ ان عرفة لم يسلبه شيئا ولكنه استعمل ذلك الشىء الذى لم يعد هو بقادر على استعماله . وقبل أن تستريح الى الفكرة وخزها واخز من نفسها راح يسألها أكانت تحس ما يحسه زوجها لو كانت أكبر منه سنا وهام زوجها على وجهه يلتقط لذاته ؟ واستشعرت ضيقا لما صاح فيها صائح أنها ما كانت لتغفر لزوجها ما يفعله وان كانت هى غير قادرة على تلبية رغباته .. انها طبيعة البشر .

ومدت يدها بالكوز فى عصبية تملؤه وصوت يدوى فى أعماقها : « هذا ظلم .. هذا ظلم .. ما كنت لأختار هذا الطريق لو كان لزوجى شبابا .. ظلم .. ظلم » . « ماذا يفعل سوليم لو رآنى بين أحضان رجل غيره ؟ .. يقتلنى ويقتله .. سوليم يقتل ؟ ولماذا لا يقتل ؟ لقد قال لى : والله ان لم تسكتى لأذهبن اليه الآن وأكتم أنفاسه .. انه لو خاننى زوجى مع امرأة لقتلته وقتلتها . أأستحق القتل ؟ . أنا أستحق القتل ؟ ! هذا ظلم .. ظلم » .

ونهضت ترتدي ثيابها وهي تعجب من نفسها وتتساءل عما جعل رأسها يجيش بكل هذه الأفكار وما كانت تفكر في شيء من ذلك ، وما كانت لتندم على ما تفعل ، وما كانت تحاسب نفسها ، أهيجت أفكارها أشباح الوحدة التي تترقبها بعد ذهاب عرفة ؟ إنها لا تدري .. كل ما تدريه انها ضائعة قلقة حائرة مضطربة .

وأحست رغبة في البكاء وانبثقت دمعتان في عينيها ، ولكن لماذا تبكي ؟ ! انها تستشعر رهبة .. رهبة من شيء غامض . انها خائفة وما كانت تعرف الخوف من قبل ، انها لتنساب من جوار زوجها في هداة الليل لتذهب الى عرفة دون ان تختلج فيها خلجة رهبة ، فما بالها تضطرب الساعة وليس هناك ما تهابه ؟ !

وجففت رأسها بالمنشفة ، وكورت شعرها ثم لفت المنشفة حول رأسها فبدت كالعمامة التي تلف على شاهد الضريح ، وفتحت باب الحمام وقبل أن تجتازه سمعت طرقا على الباب فصاحت :

— حاضر .

وذهبت الى الباب وفتحته فألفت أم نعيم تنظر اليها طويلا وتلتمع عيناها المضعضعتان ببريق خبيث ، وتنفرج شفتاها عن فم ليس فيه الا ناب واحد طويل ، ثم تقول :

— نعيما .. صباحية مباركة .

وقالت فردوس وهي تفسح لها طريقا :

— أنعم الله عليك .. تفضلي ..

وتقدمت أم نعيم في خطوات بطيئة .. كانت ترتدي جلبابا أسود فضفاضا وعلى رأسها طرحة سوداء صار لونها زيتونيا ، وظهرت سوالفها من تحت المنديل الذي تعصب به شعرها بيضاء ناصعة . انها في السبعين من عمرها ومع ذلك لا تقر في بيتها ،

تنتقل من بيت الى بيت حاملة الأسرار التي تبعثرها هنا وهناك . لذتها الوحيدة ان تسمع وأن تنقل ما تسمع وأن تزيد على ما تنقله ما شاء لها خيالها ، وما كانت تلتقط الا الفضائح والمصائب والمعايب .

وتلفتت وقالت في حسد :

ـــ ربنا يمتعك بشبابك .

وانفرجت شفتاها عن نابها الطويل وقالت :

ـــ والله قلبي يحبك لانك يتيمة مثلي وبنت حلال ، روحي الله يسترك دنيا وآخرة يا فردوس يا بنت زكية .

ووصلتا الى غرفة عرفة ودلفتا اليها ، وجلست أم نعيم على الأرض ومالت فردوس عليها تحاول رفعها وهي تقسم قائلة :

ـــ والله قومي واجلسي على الكنبة .

ـــ وحياة النبي اللي زرته انا مرتاحة .

ـــ اتربعي يا شيخه .

ـــ مرتاحة والنبي ، روحي الله يريحك ويسترك دنيا وآخرة .

وجلست فردوس أمام مرآة الكنسول ورفعت المنشفة عن رأسها واخذت تسرح شعرها الاسود الطويل ، وأم نعيم ترمقها في حسرة تحاول أن تغريها بنظراتها ، وقالت :

ـــ ايه . . ذهبت ايامنا . كانت اياما جميلة ولو انها كانت قصيرة . كان المرحوم لا يترك شعري يجف ابدا ، ما ان اخرج من الحمام حتى يعيدني اليه مرة ثانية ، كنت احب أن أصلي ولكن ما كان يترك لي وقتا للصلاة .

وضحكت فردوس ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء وقالت

ـــ أما كان له عمل غيرك ؟

فقالت أم نعم وهى تطوح ذراعها :

ـــ كانت دكانة تحت البيت ، وكان كالمكوك صاعدا هابطا .. لم يكن آدميا .. كان وحشا .

وصمتت ام نعيم قليلا ثم قالت :

ـــ الله يرحمه ويجعل أراضيه الجنة .

فقالت فردوس وهى تضحك :

ـــ اعلمتنى انه من أهل الجنة .

فقالت أم نعيم وهى ترمقها فى استخفاف :

ـــ وما ادراك ؟

ـــ لانه مات شهيدا .

فقالت ام نعيم فى ضيق :

ـــ مات وتركنى صغيرة .

ـــ ولماذا لم تتزوجى بعده ؟

ـــ قلت أعيش للولدين ولا أقهرهما ، حرمت نفسى وربيتهما ولما كبرا تزوجا وتركانى وحدى ، آه لو كنت أعرف ما أهدرت شبابى .

فقالت لها فردوس وهى ترمقها فى المرآة :

ـــ أنادمة على ما فعلت ؟

فقالت أم نعيم فى حسرة وإن تظاهرت بالمزاح :

ـــ لو كان فى راسى عقل ما قبلت أن اعيش بلا رجل حتى تجف عروقى .. روحى الله يمدلك فى عمر العم سويلم ويروى لك عروقك .

ومالت فردوس براسها وضحكت ، وراحت ام نعيم تتجول فى الغرفة بعينيها فرات جلباب عرفة معلقا ، فالتمعت عيناها ببريق خبث وقالت :

ـــ أما زال العم سويلم عرقا ؟

فقالت فردوس وهي تنهض :

ـــ انه عرق ولكنه ليس وحشا كزوجك .

وعادت أم نعيم تنظر الى جلباب عرفة وقالت :

ـــ نعمة .. احمدى الله عليها ، ما جئت لزيارتك الا ووجدتك خارجة من الحمام .

وصمتت قليلا تغالب الكلمات التى تتراقص على لسانها ، ولم تستطع ان تكبحها ولكنها غيرت اتجاهها قالت :

ـــ وكيف حال عرفة ؟

ونظرت فردوس اليها تتفحصها فى ريبة فألفتها مطرقة ، انها تعرفها داهية تريد أن تجرها الى ما تبغى لتدور بقصتها مع عرفة على بيوت الجيران ، فراحت تتحدث فى روية وتزن الكلمات قبل أن تتفوه بها قالت :

ـــ بخير . وسيسافر بعد غد ليعود الى أهله .

ـــ ولماذا هذه العجلة ؟

ـــ وما الذى يبقيه بعد انتهاء الامتحان ؟ !

وأسبلت أم نعيم عينيها .. كانت هذه عادتها كلما وخزت وخزة كأنما كانتتخشى أن تكشف عيناها سريرتها ، وقالت :

ـــ يساعد العم سويلم فى الدكان .

وهمت بأن تقول غ انه لا يزال صغيرا ، ولكنها احست أن العجوز ستسخر من قولها ، وانها قد تنفذ من ذلك الى السؤال عن سنه والى الحديث من قدرته على انجاب الأولاد ، فوجدت أن الصمت أسلم فلم تنبس بكلمة وتحركت تنشر المنشفة .

وضايق أم نعيم ذلك الصمت وغاظها تهرب فردوس من

الخوض في هذا الحديث ، ورأت ان تعرج على حديث آخر فيه غمز قد يعود بها الى الحديث عن عرفة ، فقالت :

ـــ العم سويلم رجل طيب وابن حلال ولكنني في حيرة من أمره هذه الأيام .

ولزمت الصمت لتثير في فردوس رغبة كشف سر الزوج . وسرها انها نجحت في خطتها لما رأت فردوس تقبل عليها وتقول لها في اهتمام :

ـــ وماذا أنكرت من امره ؟

فقالت أم نعيم في صوت فيه رنة أسى متكلفة :

ـــ سَهَره مع سرحان .

ـــ سرحان من ؟

فقالت ام نعيم وقد أسبلت عينيها :

ـــ الا تعرفين سرحان ؟ انه يعيش على قتل الناس .

ـــ يعيش على قتل الناس ؟

ـــ نعم . من له غريم يؤجره لقتل غريمه .

ـــ ومتى يقابله سويلم ؟

ـــ ان سرحان كالخفاش لا يغادر بيته الا بعــد أن تغيب الشمس .

ـــ وأين يسكن ؟

ـــ في البيت المتهدم المجاور للفرن .

ـــ أى فرن ؟

ـــ الفرن الواقع خلف دكان العم سويلم .

وهمت بأن تسألها عن العلاقة بين زوجها وسرحان ، ولكنها حزرت كل شيء . قال لها سويلم انه سيقتل عرفة يوما وها قد جاء

اليوم ، اجر مجرما ليقتله .. ولكن لماذا لا يقتلها هى ؟! انه اعجز من أن يفعل ذلك .. انه يحبها .. يهواها .. يريدها خالصة له .

وتفتحت نفس أم نعيم ، سرها أنها غرست فى نفس فردوس القلق ، وزاد فى سرورها تلك الأفكار التى راحت تتجمع فى راسها حول فردوس وسويلم وعرفة ، ستجد قصة مثيرة تدور بها على بيوت الجيران ، وضاعف من غبطتها ان القصة تروى فضيحة جنسية وهى تشتهى كل حديث يقودها الى الجنس حتى تغرق فيـــه .

وانطلقت أم نعيم تتحدث وفردوس لا تفقه من حديثها شيئا ، كانت مشغولة بالتفكير فيما تفعله لتنقذ عرفة .

— ١٠ —

فاض قلق فردوس بعد ان تيقنت من ان حياة عرفة فى خطر ، لقد دفعت الغيرة الشيخ الى أن يكترى رجلا ليتخلص منه ، وراحت الافكار تتزاحم فى رأسها .. كانت تقلب الراى فيما تفعله لتنقذ الفتى فقد عزمت على الا تقف مكتوفة اليدين .

دار بخلدها أن تجابه سويلم باوهامها ، تقول له انه أجر سرحان ليغتال عرفة فلا يسعه الا أن ينهار أمام المفاجأة . سينكر ما دبر ويتملص من التهمة ويعمل على تجميد مؤامرته بعد انكشاف أمره . ولكن ماذا يكون الموقف لو أخذته العزة وثار وحطمها فيما يحطم ! ماذا لو القى فى وجهها اتهاماته وطلقها وراح يوسـنـع الأرض اذاعة بما بينها وبين الفتى ؟! لا . ان محاولة الوقوف

فى وجه سويلم الحاقد الثائر المطعون ليستمت بالراى . ولكن ما الراى ؟ اتترك الفتى يقتل ؟

وارتجفت وثارت دماؤها حارة فى عروقها وزاد خفقان قلبها ، وراح يهمس فى نفسها هامس يقول : اهون على ان افضح من ان يقتل عرفة . ليت الناس كلهم يعرفون ما بينى وبينه ويترك لى !.

وراحت تذرع الغرفة وهى مطرقة ، وتدسست الى راسها فكرة الذهاب الى سرحان فى وكره وتهدده بأنها على علم بما هو مقبل عليه ، وان حبل المشنقة ينتظره لو اصيب الفتى بمكروه ، ترى ايرضخ مجرم لهذا التهديد ؟ وماذا تفعل لو سخر منها وقال لها انها لا تستطيع ان تشى به لأن معنى ذلك وقوفها امام المحكمة واعلان فضيحتها على الملأ . ستقول له أنها لن تخشى الفضيحة بعد قتل عرفة ، فلن يكون لها شيء بعده .. واذا لم يخضع لتهديدهما وقتله فماذا تفعل ؟ اتشى به ؟ وما الذى ستجنيه بعد قتل عرفة ؟! .

ـــ « لا ، لن يقتل عرفة ، لن اتركه للموت ابدا ، سالتمس من سويلم ان يتركه لشبابه ، واقسم له أننى لن أحاول أن أعيده الى البيت أو أذهب الى قريتنا ، ايقبل سويلم هذا ؟ ، لن يقبله . انه يشك الآن وحسب ، وانه ليقدم على القتل لمجرد الشك .. وأن توسلى اليه سيؤكد اوهامه .. الويل لى ماذا افعل ؟ » .

وراحت تقطع الغرفة جيئة وذهابا وفى وجهها حيرة وفى راسها افكار كثيرة وفى قلبها قلق وخوف ، وبدأ اليأس يتسرب الى كيانها فاستقر رايها على أن تذهب الى سرحان فى وكره وليكن ما يكون .

وارتدت ثوبا اسود فضفاضا وأسدلت على وجهها نقابا

اسود ، وانطلقت مأخوذة تحس كأنها تعيش فى غيبوبة ، ولولا ضربات قلبها الشديدة لحسبت انها فى حلم من الأحلام .

وانسابت فى الطريق وقد وسعت من خطوها ، فالمشاعر المتفجرة فى صدرها تدفعها دفعا فى سيرها ، واللهفة على مقابلة سرحان ومجابهة المجهول الذى يترقبها ووضع حد للخوف الذى ينتابها تغريها على التقدم فى حماسة ، وان تلقى بنفسها فى المعركة .

كانت غاية امانيها أن تخرج منتصرة ، أن تنقذ عرفة دون أن تضطر الى إعلان فضيحتها على الملأ ، انها تعيش الساعة لهذه الأمنية فاذا أخفقت فى ثنى سرحان عن عزمه فليس امامها الا أن تذهب مع عرفة ، مضحية ببيتها وسمعتها ، مشاركة اياه فى الخطر الذى ينتظره ، لن تتركه أبدا يلاقى الموت وحده .

ووصلت الى الفرن فتمهلت وراحت تتلفت زائغة البصر ، وثبتت عيناها على البيت المتهدم بجوار الفرن فكاد قلبها ينخلع من بين ضلوعها وتسمرت فى مكانها برهة ، وطافت بها رغبة فى أن تولى الأدبار ولكنها وأدت ضعفها وتقدمت من صبى صغير وقالت له وهى تشير الى البيت المتهدم :

ـــ أهذا بيت سرحان ؟

فقال الصبى وهو يتفرس فيها فى دهش :

ـــ نعم .

ـــ وأين يسكن ؟

ـــ فى أول غرفة على اليمن .

ـــ أهو موجود الآن ؟

ـــ نعم .

ـــ وحده .

ــ اظن ذلك .

ولمت اطرافها شجاعتها ومشت صوب البيت المهدم والصبى يرمقها فى استغراب ، وهبطت فى درجتين وسارت فى دهليز رطب مظلم انبعثت منه روائح روث البهائم ، وبلغت أول غرفة على اليمين فوقفت قليلا حتى تعتاد عيناها على الظلام وحتى تلتقط انفاسها .

وطرقت باب الغرفة فى اضطراب ،ومرت لحظات كلها قلق ، واخيرا فتح الباب ، واذا برجل طويل عريض الكتفين عارى الصدر غزير الشارب يملأ فراغ الباب ويتطلع اليها فى استغراب ، فسرت فى بدنها رعدة ، ولكن سرعان ما قبضت على مشاعرها بيد من حديد .

وظل سرحان ينظر اليها مليا يحاول ان يخترق ببصره ذلك النقاب المنسدل على وجهها ، ثم قال وهو يفسح لها طريقا :

ــ تفضلى .

وتقدمت خافقة القلب ، ودارت بعينها فى المكان فلم تجد الا فراشا تذرا كوم على الأرض ومقعدين من مقاعد المقاهى الخشبية الطويلة العالية ، وذبالة علقت فى مسمار دق فى الحائط .

واغلق الرجل الباب وتقدم وهو يمسح شفتيه بأصبعه كأنما يمسح لعابا سال ، واشار الى المقعد الخشبى السليم وقال :

ــ تفضلى .

وبقيت واقفة منتصبة وقالت :

ــ انت سرحان ؟

فقال فى زهو :

ــ نعم فى خدمتك .

فقالت في انفعال :

— جئت احذرك من تنفيذ ما اتفق عليه معك سويلم .

فقال لها في انكار :

— من انت ؟

— هذا لا يهمك .

— وما الذي أدراك بما بيني وبين سويلم ؟

فقالت وقداتسعت عيناها وراح صدرها يعلو وينخفض :

— ان أصيب الفتى بمكروه فستقتل .

فضحك في استخفاف وقال :

— لم يخلق بعد الذي يقتلني .

وأمسكت خصلة من شعرها وقالت :

— اقسم بهذا أنك ستقتل اذا قتل عرفة .

فقال في انفعال :

— من ذا الذي يقتلني .. انت ؟ ! ! عشت حتى رايت امرأة تتوعدني !

واحست أنها بدأت تملك ناصية المعركة فقالت في ثقة :

— اذا كان سويلم قد دفعك الى هذا بماله فأنا استطيع ان اغرى رجالا على قتلك بنفسي ، ما اكثر الذين يتطوعون لقتلك لقاء ليلة معي ! .

وصمت كأنما القم حجرا ، وراح ذهنه يعمل في سرعة ، فأحس طلائع هزيمته ، ورأى أن يستغل الظرف ليقلب اندحاره نصرا فدنا منها وقال وهو يبتسم في خبث :

— أنا على استعداد ان اقبض الثمن الآن وان انقض اتفاقي مع سويلم .

ومد يده ليجذبها اليه ويضمها الى صدره ، ولكنها دفعته فى قوة فقال فى حنق :

ـــ أترفضين ؟

ـــ نعم .

ـــ لماذا ؟ مادمت على استعداد لدفع الثمن ؛ فما الفرق بين أن تدفعيه لى أو تدفعيه لغيرى .

ـــ لأننى لا أثق فيك .

ـــ اقسم لك أننى سأنفذ اتفاقنا .

وعاد اليها مرة اخرى ليضمها اليه فدفعته فى شدة وهى تقول :

ـــ حذار ان تدنو منه .

فقال فى غضب :

ـــ اذن سيقتل ، ولن احرم رجلا من ان يقضى ليلة معك .

فقالت وهى تتجه الى الباب وتفتحه :

ـــ لن تقدر .. لن تستطيع .

وخرجت وهى تعجب من نفسها .

ـــ ١١ ـــ

استيقظ عرفة فى البكرة وارتدى ثيابه وجعل يغدو ويروح فى الغرفة يتعجل الزمن ، ويرنو الى حقيبته الصفراء والصرة الموضوعة على الكنسول فيمتلىء نشوة ، فلن ينقضى اليوم حتى يكون بين أمه وأبيه وأخوته .

وجلس على حافة فراشه وشرد ذهنه ، فراى نفسه بعين

خيساله يقدم لامه قطعة القماش السوداء التى اشتراها لها فيفيض وجهها بشرا ، ويعطى الاخوته الذين التفوا حوله اللعب الريفية البسيطة المتواضعة التى خططت بالأحمر والأبيض فيتعالى صياحهم فرحا ، ويهدى لأبية سبحة سوداء فيدمو له بالهداية . وسرت الحماسة فى صدره فنهض وعاد يذرع الغسرفة جيئة وذهابا .

وجاءت فردوس تدعوه لتناول الطعام فألفته قد ارتدى ثيابه وتاهب للسفر فانقبضت ، ساءها لهفتـــه على الذهاب ، انه لا يريدها .. لايحس بها .. يتعجل اللحظات لينطلق ، انه سينساها .. لن يذكرها بينما هو فى خيالها لا يريم . وقالت فى مرارة ؟

ـــ لماذا هذه العجلة ؟ الساعة الآن السابعة ولن يتحرك القطار قبل العاشرة .

ـــ احس شوقا طاغيا الى أهلى ؟ ليتنى اذهب الآن .

واستولت عليه فكرة الخروج فاتجه الى حقيبته يحملها ، فقالت له :

ـــ ماذا تفعل ؟

ـــ انى ذاهب الى المحطة .

ـــ لا زال أمامك ثلاثه ساعات ،اتقضىثلاث ساعات تنتظر القطار ؟ !

فقال وهو يبتسم :

ـــ لن أضجر أو أتململ ، ساكون راضيا ما دامت رحلتى قد بدأت .

فقالت وهى تملأ عينيها منه :

ـــ تعال افطر ثم افعل ما تريد .

وسار غرفة الى حيث وضعت الطبلية ؟ وسارت فردوس

خلفه وهى منقبضة يملأ جوفها قلق وخوف وحزن وانكسار .
ووقعت عينا عرفة على سويلم الجالس الى الطبلية فحياه
وجلس ، وجلست فردوس وهى مشغولة بالافكار التى أخذت
تتدفق الى رأسها والمشاعر التى راحت تزحف من هنا وهناك
ويضيق بها صدرها .

فكرت فى ذهاب عرفة الآن فحبذته؛ فذلك يضيع على سرحان
فرصته ، اذا كان ما زال مصرا على أن يصرع الفتى . انه
سيتربص له قبل موعد القطار بقليل ، فاذا ما انطلق الساعة
فسيفلت من قبضته ، وقررت أن تغرى عرفة بالذهاب فقالت
لزوجها :

ــ عرفة يريد أن يذهب الآن .

فقال سويلم دون أن يرفع رأسه :

ــ لا ، قلت لعليوة أن يجهز « الكرتة » ليوصله الى المحطة .

فقال عرفة :

ــ متشكر يا عمى ، ولكننى افضل الذهاب الآن على قدمى

فقال سويلم وهو يجاهد أن يبدو هادئا :

ــ الحر شديد اليوم .

فقالت فردوس وهى تنظر فى قلق :

ــ ما زلنا أول النهار .

فقال سويلم وهويمد يده الى الطعام :

ــ لا أحب أن يصاب بضربة شمس فى اليوم الذى سيعود فيه
الى أهله .

وهمس فى نفس فردوس هامس يقول : ولكنك تحب أن
يصاب بطلق ناوى والا يعود الى أهله .

وساد الصمت وشغل كل منهم بأفكاره عن كل ما حوله ؛
كانت فردوس تفكر فيما تفعله لو عاد عليوة وقال ان عرفة قد

قتل . اتهم زوجها بقتله ؟ وماذا ستجنى من هذا الاتهام لا ستخسر عرفة والزوج معا ، واذا اقفلت فمها ولزمت الصمت فكيف تعيش مع رجل تعرف انه قاتل ، وقاتل من ؟ عرفة .

ووسوس فى جوفها صوت يقول : وهو .. كيف يعيش معى فى بيت واحد وقد لوثت شرفه ؟

وهب صوت آخر يصيح فيها : لا ، انه يشك وحسب ، انه ليس على يقين ، فلو انه راى شيئا لما بقى معى لحظة ، اما انا فاننى واثقة من انه هو المحرض على قتل الفتى .

وخطرت لها فكرة ان تنهض وترتدى ثيابها وتنطلق مع الفتى الى المحطة تحميه ، ولكنها فطنت الى ان سويلم لن يوافق على ذهابها ، سيسفه رغبتها ويرفضها رفضا . وظلت فريسة للأفكار المتباينة الزاحفة الى راسها دون انقطاع .

وشرد سويلم بخياله وتمنى لو ان عرفة سافر ليلا ، اذن لكان قتله ايسر ، ولكنه اخذ يطمئن نفسه ان سرحان لا يابه بليل او نهار ، انه ماكر يقتل فى الظهيرة ويروغ كالثعلب .

واختلس نظرة الى الفتى الذى حكم عليه بالاعدام ، فاذا بغضبه يتحرك ودماؤه تثور ومقته يسرى فى عروقه كالصديد ، وتعفنت روح الشيخ فلم تنبت فيها خردلة من شفقة .

وظل عرفة متهلل الاسارير .. انه يرى أمه وهى تضمه الى صدرها الحنون ، وأباه يربت على ظهره ، واخوته يلتفون حوله يصغون اليه وهو يسرد عليهم حياة البندر . ويرى الطرق الضيقة الحبيبة الى نفسه ، والحقل والساقية ورفقاء صباه وحمرة الشفق ساعة الغروب .

كانت نفسه مسرحا لحنين رقراق طاهر ، وحنان ملائكى

لا يدنسه رغبة جامحة ولا لهفة على فتاة من فتيات القرية اللاتى كن يشاركنه لعبته المفضلة ، فقد كان غارقا فى الجسد يهفو الى غذاء روحى بعد أن نضبت ذخيرته من أحاسيس الحب العفيف .

وانتهوا من افكارهم وعاد عرفة الى غرفته ينظر الى حقيبته وصرة الثياب فى شغف ، تراوده فكرة أن يحملها وينطلق ، ولكنه كان يعتصم بالصبر حتى لا يغضب الشيخ فى آخر يوم له فى بيته .

وراح الوقت يمر وئيدا وئيدا ، وكل من عرفة والشيخ وفردوس يتعجل مروره ليقضى على التوتر الذى يعيش فيه ، وأخيرا ارتفع رنين جرس « الكرتة » فتفتحت نفس عرفة فرحا ، وانقبض صدر الشيخ ، وانخلع فؤاد فردوس هلعا وكاد يفلت منها زمام أمرها وتند منها صرخة .

وأسرعت فردوس الى غرفة الفتى تودعه وقلبها يرفرف بين ضلوعها كجناح حمامة ، وقابلته وهو مقبل وقد حمل حقيبته وصرته فاستشعرت رغبة مستبدة تغريها بضمه وتقبيله ، ولكنها قاومت تلك الرغبة وقالت فى صوت متهدج تخنقه العبرات .

ـــ مع السلامة .

وافسحت له الطريق ووقفت ترنو اليه من خلال دموعها التى انبثقت ملأ مآقيها ، ولم تعد ترى شيئا فمسحت عبراتها بظهر يدها ، ورأته وهو يتجه الى باب الشقة فأسرعت الية وهمست :

ـــ الا تودع العم سويلم ؟

ووضع الحقيبة على الأرض وانطلق الى غرفة الشيخ ، وقال وهو يمد له يده مصافحا :

ـــ عن اذنك يا عمى ، القاك على خير .

وصافح الشيخ الفتى فى فتور وهم بأن يقول له : « مع السلامة » ، ولكن حرارة مقته صهرت الكلمات فتبخرت على شفتيه ، ولم يفطن عرفة الى وداع الشيخ الفاتر ولم يأبه به ، وعاد مسرعا ليحمل حقيبته .

ومر بفردوس وهو يكاد لا يحس بها ، وحمل حقيبته وسار واذا بفردوس تسرع وتفتح له الباب ، وما ان يخرج منه حتى تتبعه وتجذب الباب خلفها وتخف اليه وتقبله قبلة خاطفة وتقول :

— مع السلامة .

وطفق عرفة يهبط فى السلم خفيفا يحس احساس السجين الذى يغادر سجنه لأول مرة ، ووقفت فردوس عند رأس السلم تنظر اليه وفى قلبها لوعة وفى نفسها حسرة وفى عينيها دموع ، ولم تستطع أن تكبح جماح عواطفها فراحت تنشج بصوت مسموع .

ووضع عرفة حقيبته وصرته فى « الكرتة » وقفز الى جوار عليوة خفيفا ، وملأ رئتيه بالهواء ثم زفره فى راحة وقال ليطمن نفسه :

— الى المحطة .

وانسابت « الكرتة » صوب المجهول .

وعادت فردوس الى حيث كان ستوبلم ، كان القلق باديا عليها تطرق ثم ترفع رأسها وتتلفت وتأخذ فى التململ ، ولا تلبث أن تنهض وتغدو وتروح فى الحجرة دون أن تفعل شيئا ، ثم تعود لتجلس وتطرق وتتلفت ، ولولا انشغال الشيخ بالأفكار الطاغية التى تتدسس الى رأسه والمشاعر القاسية المزمجرة فى ذاته لفطن الى اضطرابها .

ولم تطق المكث فى الغرفة فقامت وانطلقت الى غرفة لها

شباك على الطريق وراحت تنظر من خلاله شاردة ، وقد نبتت في رأسها هواجس كثيرة . راحت تتساءل عما تفعله اذا عاد عليوة وصاح ان عرفة قد قتل . أتجري في الشارع محلولة الشعر تصيح كالمجنونة ؟ أترتدي عليه ثياب الحداد ؟ أتقول لزوجها انها تعلم انه هو المحرض على قتله ؟ أتنتقم لعرفة وتقتل سويلم ؟ أتنفذ وعيدها لسرحان ؟ لقد أقسمت بخصلة من شعرها أن سرحان اذا أصيب الفتى بمكروه ، فأين ذلك الرجل الذى يقدم على قتل سرحان لقاء ليلة معها ؟ !! .

وأحست أن سرحان سيسخر من تهديدها فتقاصرت نفسها وأحست رهبة تكاد تكتم أنفاسها ، ولكن أيقدم سرحان على القتل بعد أن تيقن أنني أعرف نواياه ؟ الا يخشى أن يدفعني اليأس الى البوح بكل شىء ؟ آه لو ركبه سرحان رأسه وركبت رأسي !! .

وأحست حركة خلفها فالتفتت فرأت سويلم قد أقبل شاردا وذهب الى الشباك والتي نظرة فاحصة على الطريق ، فقد جاء يتنسم الأخبار مثلها ، وكلاهما كانت آماله معلقة بعودة عليوة وان تباينت الآمال كل التباين وتنافرت الرغبات .

وساد بينهما صمت قاتل ، حتى كأن كل منهما يخشى أن يسمع الآخر دقات قلبه وصوت أنفاسه ويقرأ ما في نفســه من مشاعر وأفكار ، وراح الزمن يسير سير السلحفاة فيزيد من الآلام الجاثمة على صدريهما ، ويوسع في هوة الهلع التى حفرت في أعماقهما .

وارتفع رنين جرس « الكارتة » فذهبت نفساهما شعاعا واتسعت عيونهما رعبا وانبهرت أنفاسهما ، وأحس كل منهما أنه يكاد أن ينهار .

ووصلت الكارتة الى البيت ، ولم سويلم أطرافه شجاعته وأطل

من الشباك وهو يحمل نفسه على ذراعيه حملا ، وقال فى صوت اجش مضطرب :

ـــ هية يا عليوه ؟

ورفع عليوة راسه وصاح فى صوت هادىء :

ـــ وصلته بالسلامة ! .

وتبخرت مخاوف فردوس وزحف الاطمئنان فى جوفها ، ثم راحت فرحة تعربد فى اعماقها ، ولم تقو على كبت مشاعرها فذهبت الى زوجها تضمه وتقبله .

وأبعدها سويلم عنه فى عنف ، ووقفت فردوس ترقبه وعلى شفتيها بسمة واســاريرها منبسطة ، فقد سرها نجاة عــرفة وانتصارها على سرحان . وتدفقت الدماء حارة فى عروق الزوج وعصفت به ثورته ، فاذا به يمد يده الى كرسى قريب ويرفعه ثم يهوى به على راس فردوس ، وترنحت فردوس وسقطت على الأرض ، والكرسى يرتفع فى الهواء ليهوى عليها . واستمر سويلم يضرب ويضرب ويضرب حتى صارت الفاجرة جثة هامدة ، وهو مستمر فى ضربها دون أن يحس مما يفعل شيئا .

واحة الخيال

عزيزى خيرى :

هذه الرسالة ليست بنت اليوم .. راودتنى منذ ذلك اليوم . كنت ادخل غرفتى واغلق علىّ بابى واتهيأ للكتابة ، ولكنى كنت كلما جلست الى القرطاس لابثك لواعج نفسى احسست خجلى يقوم حائلا بينى وبين تسطير ما احس ، فما كان لفتاة ان تبعث الى شاب لا يعرف عنها شيئا ــ وان كانت تعرف عنه كل شىء ــ برسالة تشكو له فيها ما تقاسى من وجد ..

ظل ذلك الخجل يقهرنى حتى ليلتى هذه ، فقد دخلت الى فراشى بعد ان اطمأننت الى عودتك من مقهاك ، وحاولت النوم ولكنى أرقت ولم تغمض لى عين ، وتقلبت فى فراشى كانما اتقلب على جمر ، فقد تآمر علىّ خيالى فأحضر صورتك امام عينى فى شكول تؤجج النار فى الفؤاد ، فطغت احساسات الحب فملأت صدرى حتى كادت تكتم انفاسى ، فلم اجد لها متنفسا الا ان اقوم فى هجعة الليل لأسكب شواظ القلب على رسالة ابعث بها اليك ، لعل نارى تبرد وقلبى الذى اضنانى يهدأ والخيال الشارد السارح بجناحيه ، فيدثر نفسى القلقة الخائرة هدوء وان كان هدوءا الى حين ..

رأيتك يا حبيبي أول مرة بعد ظهر يوم لن أنساه .. كنت ذاهبة الى طبيب الاسنان وكنت عائدا من عملك ، فما وقعت عيناي عليك حتى تملكني احساس غريب ، شعرت بروحي تهفو اليك ، وانطلقت في طريقي وما ابعدت خطوات حتى تلفت خلفي برغمي لأمتع العين برؤيتك . .

وانتهت زيارتي للطبيب وعدت الى البيت ، فجلست في الشرفة استروح نسيم الاصيل ، وفجأة شعرت كأن جناح حمامة يخفق في جوفي . . كان قلبي يضطرب . رأتك عيناي وانت مقبل من دارك منطلق الى الميدان ، فقفز قلبي في سرور الولهان . .

تبعتك بعيني مضطربة النفس ، حتى اذا اختفيت عن ناظري ظل قلبي يتبعك ، وانقضى النهار واقبل المساء وانا افكر فيك . وجاء أوان مغادرتي الشرفة وتحركت لادخل الى غرفتي ، ولكن لم يطاوعني قلبي ، لم يشأ أن يغادر الشرفة قبل أن يطمئن الى أوبتك .. مرت من الليل ساعات وانا جالسة ارصد الطريق ، فاذا لمحت شبحا قادما حسبته أنت فتسري في بدني رهبة لذيذة ، وطال مكثي وما تسرب الملل الي فقد كنت مفعمة بالنشوة ، لاني ارقب عودة رجل خفق له القلب . .

علمني حبك يا حبيبي أن الظلام مرتع خصب للخيال ، وراحت الاوهام تنمو في فكري وتزدهر في نفسي ، فتنتشي روحي ويرضى فؤادي . وفجأة اشتد وجيب قلبي . . رآك في حلكة الليل قبل أن تميزك عيناي ، وبقيت أتبعك بنظري حتى اختفيت ثانية في الظلام ، فغادرت الشرفة وانا أحس خفة وانشراحا .

صارت الشرفة مأواي ، في الصباح أهرع اليها لاستجلاء

طلعتك ، وفي الظهر انتظر عودتك ، وعند الاصيل ارقب خروجك الى مقهاك ، اما الليل فكان مسرح الاحلام ..

فكرت مرة في أن اتبعك لعلي أستطيع ان الفت نظرك الي ، فارتديت ثيابي قبل موعد خروجك عند الاصيل ، ووقفت في شرفتي قلقة تتجاذبني خواطر متضاربة تترجح بين الاقدام والاحجام ، ولمحتك قادما فاندحر ترددي ، ووجدت نفسي اهرول وانطلق كانما كنت واقعة تحت تأثير منوم مغناطيسي ، وهبطت الدرج قفزا ووصلت الى الطريق وقلبي في حيرته واضطرابه ، واحسست رهبة تسري في من قمة رأسي الى أطراف اصابع قدمي .. مشت في بدني رعدة وتدفق الدم حارا الى وجهي ، وتلفت بعيون زائغة فالفيتك تسير امامي ، فاخذت سيري حتى اذا اقتربت منك ضيقت من خطوي كأن قوة خفية أرغمتني ، وتبعتك على البعد كأنما كنت منجذبة اليك ، حتى اذا لمحتك تدخل مقهاك وقفت اديم اليك النظر وانا سعيدة ، ثم عدت راضية من حيث جئت .

وفي يوم تقابلنا وجها لوجه ، ولا اكذبك القول فاقول انها مجرد مصادفة ، فما احب وانا احترق لك بحبي أن أكذب عليك ، كانت هذه المقابلة ثمرة تدبير فكرت فيه ليالي وأياما ، يا طالما قابلتك في الحياة وهممت أن ابتسم لك كما فعلت في الخيال ، حتى جمد وجهي وعز علي الابتسام ، فكرت في أن ادعوك .. أن أهتف باسمك ، وفتحت فمي واطبقته ولم ينبعث منه صوت ، تحطمت الالفاظ على شفتي فعدت الى البيت حانقة على نفسي ، وثار قلبي علي فاخذ يخزني وخزا ما انساه ! ...

ومرت علي ليلة ليلاء .. ليلة لن انساها ما حييت ، جلست

فى الشرفة ارقب عودتك وكان الظلام يرخى ستوره السود والسكون يسيطر على المكان ، فراح خيالى يرتع حرا طليقا ينعم بأعذب الرؤى والطف التخيلات ، ومر الوقت ووافى ميعاد اوبتك فأرهفت منى الحواس ، وجعلت اتفرس اشباح الغادين لأطمئن الى عودتك ، وانقضت ساعة ثم ساعة ولم تقع عليك عيناى ، فتحرك قلقى وثارت نفسى واستولى علىّ ضيق ، وزاد فى كربى أن هجس فى صدرى هاجس جرح روحى راح يوسوس لى انك تنعم اللحظة بحبيبة الفؤاد اذ كنت أنتظرك وقد اندلع فى جوفى نار .

تحركت عقارب غيرتى وراحت تأسعنى لسعا ، واحسست جمرة نار فى حلقى وعبرات تخنقنى وحنقا يلفنى ، وتمنيت بكل جوارحى أن تعود الأنجو من ذلك العذاب . ولكن الوقت راح يمر ولم تلمحك عيناى ، فخطر لى أن انسل فى هدوء الليل الى مقهاك انقب عنك حتى استريح من هواسى التى تآمرت على ، ولكنى جبنت عن تنفيذ ذلك الخاطر الذى طفق يلح علىّ يؤازره القلب الواله الحيران ..

وبرد الجو وصفرت الرياح ، فمشت فى جسدى قشعريرة لم التفت اليها .. كنت شاردة فى تيه الخيال غارقة فى بحور الأفكار ، واشرف الليل على الانقضاء وأنا فى مكانى ، واخيرا انسللت من الشرفة محطمة النفس مهيضة الجناح .

واشرقت الشمس وتسللت الى غرفتى ، وما ان فتحت عينى ورأيت الضياء حتى شعرت بخوف يسرى فى صدرى خشيت أن يكون ميعاد خروجك الى عملك قد انقضى وكتب علىّ الا تكتحل عيناى ذلك اليوم برؤيتك . هممت بالنهوض لأغادر فراشى وانطلق الى الشرفة ، ولكنى شعرت بثقل فى جسمى عاقنى عن النهوض ،

فتحسست جبهتي بيدي فالفيتها تكاد تنصهر .. لقد سقطت فريسة للحمى وما فطنت الى هذه الحقيقة حتى ارتجفت ، لم ارتجف لمرضي بل خشية أن أهذي باسمك فيتبدى مكنون نفسي ، وينفضح سر قلبي الذي انتمنت عليه ضلوعي وطويت عليه صدري ..

ولازمت الفراش وراحت الدقائق واللحظات تمر وئيدة بغيضة ، وعادني طيفك في ساعات صحوي فأنعش روحي وأرضى فؤادي .. وفي يوم من أيام مرضي لججت في التفكير فيك ، واخذت اناجيك حتى غلبني النوم فرحت في سباتي ، وفيما أنا غارقة في نومي رأيت كأنما أنا وأنت في حديقة رائعة تفتحت ازهارها وغنت اطيارها ، نخطر خذما على زرع أخضر بهيج ، وقد انسدل شعري على كتفي فأخذ النسيم يداعبه ، وأنت ترنو الي في عطف ..

ولمحنا نهرا فهرولنا اليه مسرورين حتى اذا بلغناه الفيناه من لجين ، ووجدنا زورقا رائعا زين بالزمرد والياقوت انتثر فيه الورد والياسمين ، فركبنا فيه وأخذنا نجدف في البحر العجيب ، وقد سرى صوت سماوي اخاذ يغني باعذب الالحان فعبث بقلبينا ، فملئنا نشوة وفاضت سعادتنا فالتصق رأسانا ..

والتفت الي وفي عينيك حب ، ولففت ذراعيك حولي وضممتني اليك ، ولم استطع أن احتمل السعادة التي كنت فيها فاستيقظت خافقة القلب مرهفة الاحساس ، وما ان هدأت مشاعري حتى أخذت افكر في حلمي اللطيف ، منشرحة الصدر راضية النفس قريرة العين ..

وكأنما كان ذلك الحلم الحبيب البلسم الشافي لمرضي ، فما اشرقت شمس النهار حتى ابللت مما كنت أقاسي ولكني لم ابرأ من حبي ، فما ملكت قواي حتى هرعت الى الشرفة خافقة الفؤاد ارقبك في الغدو والآصال ، وطغى حبي وفاض فلم يعد يسعه جوفي ولم

يعد يقتنــع بمسبحات الخيال ، وطمــع فى ان يغمــر الحبيب بالاحساسات الفوارة ..

اننى اكتب اليك وليس لى على نفسى سلطان ، قهرنى حبى وتمرد على قلبى واستبد بى وارهقنى حتى ارغمنى على أن أكتب اليك ، فنزلت على حكمه مقهورة وإن كان فى ذلك طعنة لكبريائى نجلاء ..

القلم يرتجف بين اصابعى ، وقلبى يطفو ويغوص ويملى على كلمات ، والعرق البارد ينبثق من جبينى . ليتنى استطيع أن اعصى ما يأمر به قلبى ولكن هيهات ، فها هى ذى يدى تسطر ما يمليه الفؤاد .

سأنتظرك عند محطة الترام فى الميدان فى الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ، ولن اذكر لك عنوانى حتى لا تعتذر اذا كنت لا تستطيع أن توافينى فى ذلك الميعاد ، فانى أريد أن احيا الأيام وأنا سعيدة يداعبنى أمل لقياك ، والى ذلك اليوم المرتقب أتمنى لك ولنفسى اسعد الأحلام ..

(فتحية)

وطوى خيرى الرسالة وهو نشوان يحس خدرا لذيذا ، فما دار بخلده أن هناك من تحبه هذا الحب العارم الجبار . كانت حياته مجدبة قبل أن تصل اليه هذه الرسالة الحارة فما كان ممن يتفيئون ظلال واحة الخيال . كان يضرب فى صحراء الحياة محدود الآمال ولكن ما ان قرأ هذه الرسالة حتى تبرق بصره وفتحت فى رأسه أبواب التصورات .

راح يفكر فى فتحية ومن تكون وما شكلها ، وتفتق ذهنه فراح يجلب له ممثلات السينما الحسان ؟ فيستعير لفتحية من هذه قوامها .. ومن تلك نضارتها .. ومن ثالثة عينيها النجلاوين ..

ومن رابعة صدرها الفاتن الرائع ، واسترسل فى تخيلاته حتى تجسمت فتحية فى ذهنه نموذجا للحسن والجمال . .

وخرج الى الطريق وسار يتلفت يمينا ويسارا ، وفوق وتحت ، ويتفرس فى الشرفات . . فلمح اكثر من فتاة جذابة تصلح ان تكون صاحبة الرسالة النابضة بالحب والحياة ، فطفق يوزع ابتساماته هنا وهناك لعل ابتسامة منها تكون من نصيب فتحية فتنزل السكينة بالقلب الولهان . .

وخطر له أن يحيى من فى الشرفات الممتدة على جانبى الطريق بكلتا يديه كما يفعل الزعماء والأبطال ، فابتسم لذلك الخاطر الساخر الذى اقتحم عليه خياله فى هذه اللحظة الحاسمة من لحظات حياته ، لحظة التنقيب عن الجميلة التى فتحت له قلبها قبل ان يطرقه ، ووهبت له السعادة والحب . .

انطلق وهو يحس كأنما بعث خلقاجديدا . . انه محبوب وما اسعد أن يكون المرء محبوبا ، وتدفقت فى عروقه دماء حارة ما احس حرارتها قبل يومه ، وسرى فى صدره أمل حلو انعشه واحيا نفسه من الموات . .

ولمح فى شرفة من الشرفات فتاة جذابة ممشوقة القد دقيقة الخصر ، تهدل شعرها الكستنائى المتموج فأخفى فى دلال جزءا من وجهها الحلو الناصع البياض فزادها حسنا ، وبدت ذراعاها البضتان كأنما خرطتا من الشمع ، فخفق قلبه لجمالها الآسر الذى يلعب بالقلوب ويعبث بالرجال . .

وقف يرنو اليها مذهولا ، وبقى مدة ثم انتبه الى نفسه وراح يتلفت حوله ، فرأى رجلا مسنا ابيض الشعر ضئيل الجسم محدودب الظهر جذب حسنها عينيه ، فراح يتفرس فى جمالها ويتلفت نحوها كلما خطا فى الطريق خطوات ، فابتسم خيرى

مزهوا ، فجمال من احبته سبى الرجل الفانى وجعله يتلفت وفى عينيه اعجاب ، كشباب فوار الحماس ..

وشرق وجهه بابتسامة عذبة ومرر يده على شعره تحية ، فخيل اليه انها ابتسمت له ومدت يدها تصلح شعرها المتهدل ، فانشرح صدره وصدق ما حزره قلبه ، انها هى بعينها فتحية .. فتحية التى بعثت اليه برسالتها الحارة ترد على تحيته بتحية مثلها .

وسار فى طريقه وهو نشوان . سره انه اهتدى الى فتحية ووجدها نابضة بالحياة كرسالتها ، ووسع فى خطاه فقد دب فيه نشاط غريب ، وما أن بلغ الميدان حتى احس رغبة فى أن يعود ويتطلع الى فتحية ، فدار على عقبيه وقفل عائدا من حيث جاء ، فلما لاحت له الشرفة ظلت عيناه متعلقتين بها وانداح فى صدره خدر لذيذ ..

ودنا من الشرفة فخفف من خطوه ورفع راسه وراح ينقل فيها عينيه ، وقد تحرك فى جوفه اضطراب شهى ، كانت شفتاها ممتلئتين مغريتين ووجنتاها فى لون الورد وعيناها آسرتين ساحرتين ، فانبعث من عينيه بريق اخاذ ، وسار الهوينى وهو يتلفت حتى اختفت الشرفة عنه ..

وعاد الى داره فاسترخى فى مقعد وثير ، واخرج الرسالة ونشرها وراح يعيد تلاوتها فغمرته نشوة اعظم من النشوة التى غمرته أول مرة ، انه يرى الآن بعين خياله فتحية بشعرها الكستنائى المتموج ، ووجهها الحلو الصبيح ، توجه اليه خطابها فتنتشله من دنياه المحدودة لترفعه الى عوالم رحيبة من السعادة والهناء ..

وضع الرسالة على ركبتيه واطلق لخياله العنان ، فرأى نفسه وفتحية فى تلك الحديقة البديعة التى رآتها فى منامها وهما يهرولان الى النهر الرقراق ، ثم يتجهان الى الزورق الرائع ويركبان فيه

وينطلقان ليسبحا في عالم السعادة ، وقد أسند رأسه الى رأسها . واسترسل في تخيلاته فألفى نفسه يضمها الى صدره في ونه ويمطرها بقبلاته الحارة ، فأحس وهو في مقعده بنشوة عارمة . .

وتبدل خيري . . دب فيه نشاط بعد خمول واستيقظت حواسه بعد سبات ، وسبح خياله هائما في سماوات التصورات بعد ان كان مشدودا الى الارض ، وصار يعتني بهندامه يقف امام المرآة سويعات ، وما كان يرتدي جاكتته الا وهو هابط في الدرج لا يلوي على شيء .

وراح يحيا على الأمل يعد الدقائق والساعات ، يرصد يوم الخميس في قلق ورجاء . وما انبلج صبح ذلك اليوم الموعود حتى فتح صوان ملابسه ، واخذ يتفرس في حلله يقلب هذه ويفحص عن تلك ، حتى اطمأن الى حلة رمادية جذابة فتناولها ، ونادى الخادم الصغيرة وأمرها أن تذهب بها الى الكواء .

واتجه الى حيث يضع أحذيته وانتقى منها حذاء وضعه في عناية بالقرب من المشجب ، ثم ارتدى ملابسه وخرج الى الطريق وسار نشيطا ، حتى اذا بلغ الشرفة لم يجد بها أحدا فانقبض وتريث قليلا لعلها تقبل فيبتسم لها ، مؤكدا انه سينتظرها في الموعد المضروب . . ولكن مرت لحظات دون أن تفد الى شرفتها فانطلق وهو يحس ضيقا ، لكن سرعان ما انقشع ضيقه فقد خطر له انها تتأهب للقاء الذي يهفو اليه قلبها . .

وذهب الى عمله وهو جذلان ، راح يداعب زملاءه طلق الوجه ولم يستطيع أن يطوي صدره على سره ، فأخذ يقص عليهم قصة الفتاة الفتانة التي أحبته وبعثت اليه تلتمس منه أن يوافيها اليوم لتطفيء لهيب الغرام ، وأرضى ذلك الحديث غروره فجعل يحدثهم عما سيفعله بعد اللقاء .

وانقضى ميعاد العمل فى الديوان فاسرع بالعودة وهو فرحان ، وما بلغ اول الطريق الذى يقطن فية حتى سرى فى جوفه قلق لذيذ ، ومد بصره الى شرفتها فلمحها فرقص قلبه سرورا ، واخذ السير حتى اذا اصبح تحت شرفتها رفع راسه وافتر ثغره عن ابتسامة ؛ فخيل اليه انها تبادله الابتسام ، فسار الى بيتة وهو هيمان ..

وجلس الى طعامه ، وما ان ازدرد لقيمات حتى عافت نفسه الطعام . كان شارد اللب مشغولا بما يجرى فى راسه من رؤى وتخيلات ، فنهض وغادر السفرة ، وذهب الى مقعد طويل تمدد فيه وارخى لخياله العنان ..

راح يفكر فيما سيفعله عند اللقاء ، فراى ان يذهبا الى مصر الجديدة ، ثم يستقلا سيارة الى كازينو مونترو الضارب فى صحراء الماظة لينعما بالهدوء وهواء تلك المنطقة الجافة . واستراح الى تلك الفكرة ولكن سرعان ما تقفزت الى راسه فكرة اخرى .. انها رأت فى منامها انهما يذرعان حديقة بديعة ثم انطلقا الى زورق راح يتهادى بهما فى نهر صاف رقراق ، فلماذا لا يحقق لها فى الحقيقة ما راته فى المنام ؟

واطمأن الى ذلك الخاطر الجديد ، فقر رايه على ان يذهبا الى قصر النيل يجوسان خلال حدائق الجزيرة كفراشتين طليقتين ، ثم يركبان زورقا من الزوارق المنتشرة هناك ، يخطر بهما فى النيل عند الأصيل ، فيمتعان الطرف بمشاهدة الغروب الفاتن الذى يملأ النفوس بالجلال ..

وأخذ الوقت يمر وهو غارق فى بحور النشوة المستمدة من الخيال ، ودقت ساعة الحائط الرابعة فاحس رنيتها فى نفسه .. ارتفعت دقات قلبه وارهفت مشاعره وزحفت الى صدره رهبة

وقام يتأهب للانطلاق للقاء ، فذهب الى المرآة وقرب وجهه وراح يتفرس في صقالها ، فألفى شعرة نابتة في خده فجذبها بالملقاط ، ثم أخذ يرجل شعره اللامع ، وارتدى قميصا أبيض هفهافا ، وتناول رباط عنق جذابا وراح يعقده في حرص ، ومد يده الى العقدة يتحسسها في رفق ليزيل ثنية خفيفة في طرفها . .

وتناول حلته الرمادية في حرص بالغ ، ثم ارتداها ، واخذ يصلح من هندامه ويمد يده الى المنديل المنديل المندلى من جيبة يرفعه قليلا ثم يخفضه قليلا ، ثم يعود ليرفعه . . حتى اذا استراح الى وضعه تقهقر خطوة وجعل يفحص من صورته في المرآة .

وأخذت اللحظات تمر في بطء ، فطفق يذرع الغرفة صاعدا هابطا وقد سيطر عليه اضطراب مشوب بلذة ونشوة ، وخطر له أن يقرأ رسالتها فمد يده وأخرجها ، وراح يقرؤها خافق القلب مرهف الحواس . .

ونظر الى الساعة فألفاها الرابعة والثلث ، فتململ في ضيق ، واتجه الى الشرفة ووقف يستنشق الهواء ، ولكنه لم يطق أن يبقى فيها طويلا فدخل يتطلع الحجرات جيئة وذهابا في حيرة واضطراب ، واستقر رأيه اخيرا على مغادرة الدار فراح يهبط في الدرج متمهلا حتى يحافظ على رونق حلته .

وسار يتهادى ، حتى اذا بلغ شرفتها زاد وجيب فؤاده ، ورفع عينيه فلم يجدها فسرت الطمأنينة في صدره ، انها الآن امام المرآة تتأهب للقياه . آه لو تدرى لأسرعت بالهبوط لينعما بأسعد الأوقات ! وبلغ الميدان فوقف عند محطة الترام يمد بصره الى الطريق الذى ستقبل منه متحية بقامتها المشوقة ، ووجهها الحلو الصبيح الذى تزينه عينان صافيتان رائعتان ،وفم في لون العقيق يغرى باللثم والعناق . .

ونظر فى ساعته فارتفع نبضه وزاد خفقان قلبه وسرى الدم حارا فى عروقه ، ان هى الا عشر دقائق ثم تقبل فتحية بذاتها اللطيفة . يا طالما حادثها فى الخيال ارق حديث ، وان هى الا لحظات حتى يناجيها فى الواقع الملموس الذى يفوق سحره سحر الخيال اعذب مناجاة ، وراح يغدو ويروح على الطوار ، وعيناه ترقبان منفذ الطريق الذى ستقبل منه الفتنة والاغراء ..

ووقعت عيناه وهو يتلفت على فتاة مقبلة نحوه . انها تبتسم له وان ابتسامتها تتسع وتتسع ، فرمقها فى دهش فما كان يحسب أن تبلغ الجراة بفتاة أن تغازل شابا مثل هذه المغازلة المفضوحة ، ودنت منه وهمست :

ـــ لقاء سعيد يا خيرى بك ..

ومدت يدها تصافحه ، فأحس راسه يدور وقلبه يغوص فى قدميه وضيقا ينتشر فى صدره . انها فتاة سمراء مفلفلة الشـــعر واسعة الفم جاحظة العينين ، انفها اقرب الأنوف الزنوج ، وقد انتشرت فى وجهها بقع سوداء زادت فى دمامتها .

وهمس فى صوت مفزوع :

ـــ فتحية هانم ؟ !

فانفرج فمها الواسع عن اسنانها الصفراء ، فوقف مذهولا لا يدرى ما يفعل بعد أن انجلت لعينيه الحقيقة البشعة ، ثارت احساساته وامتزجت حتى كاد يتعطل تفكيره . واقبل الترام فصعدت فتحية مسرعة وصعد خلفها دون أن يدرى .

واخيرا افاق من المفاجأة البغيضـة والترام يجد فى سيره ، وقفزت فى راسه فكرة فنهض مسرعا وقفز من الترام ، وراح يعدو برهة وهو من الخوف يتلفت !

تصـــدير البشر والفنـــون والاداب

لابد لكل مشروع من راس مال عامل ، فاذا زاد راس المال على حاجات المشروع العملية كان الجزء الفائض عاطلا واصبح عبئا على المشروع كله ولتصريف مثل هذا الوضع يحول راس المال العاطل الى مشروع آخر فى حاجة الى اموال ليصل الى كفايته التسوى .

واقتصاديات الأمم لا تختلف فى كثير ولا قليل عن المشروعات التجارية فلابد لكل امة من راس مال بشرى ، يفـــكر ويخطط وينفذ ، فاذا زاد راس المال البشرى فى امة من الأمم على حاجاتها الفعلية كان فائض راس المال البشرى عاطلا ، واصبح عبئا على الأمة كلها ، ولعلاج مثل هذه الحالة يصدر فائض البشر الى امم تشكو نقصا فى الايدى العاملة .

ولا يقصد بتصدير البشر الهجرة النهائية الى دولة اجنبية بل يقصد به فتح ابواب العمل فى مجالات خارجية للفائض البشرى فى دولة من الدول .

والانسان راس مال تتغير قيمته بتغير ثقافته وخبرته ، ومقدار حاجة المجتمع الذى يعيش فيه الى جهوده . وتلجأ بعض الدول التى يزيد فيها راس المال البشرى على حاجتها الى تصديره لتجنى فوائد ما يعيده راس المال البشرى من فائض جهده الى بلاده .

وتستفيد دول كثيرة من تصدير فائض ابنائها ، بل قد يكون عائد راس المال البشرى المصدر عصب اقتصاد تلك الدول ، فاليونان ولبنان وسوريا وايطاليا تصدر البشر الى البلاد التى تعانى نقصا فى الأيدى العاملة وتجنى فى ذلك فائدتين ، عائد الجهود البشرية المصدرة ، وتوفيرا فى ماكل أولئك الذين راحوا يعملون فى الخارج ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وخدماتهم الصحية والاجتماعية .

ولو فرضنا ان دولة ما نجحت فى أن تصدر الف خبير ، واستطاع كل منهم أن يعيده الى بلده مائة جنيه كل شهر ؛ فمعنى هذا ان حصيلة هؤلاء الخبراء من العملات الاجنبية فى السنة ١٠٠٠ × ١٠٠ × ١٢ = ٠٠٠ر٢٠٠ر١ جنيه ، فاذا فرضنا أن عائد أى مشروع اقتصادى ٦٪ فعائد هؤلاء الخبراء يساوى عائد مشروعات اقتصادية قيمتها ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ من الجنيهات .

ان ايطاليا وحدها تصدر الى المانيا الغربية مليون عامل ، وتصدر اليها يوغسلافيا نصف مليون . وما اكثر البلاد التى تحتاج الى خبراء وصناع وعمال فى العالم ، فافريقية والمانيا الغربية وأمريكا الجنوبية وبعض البلاد العربية فى آسيا وأفريقيا تشكو نقص الأيدى العاملة بها ، مما حد ليبيا الى عقد اتفاقيات مع تشاد والمغرب والسودان لتوريد خبراء وعمال زراعيين ، بينما تشكو مصر من تضخم الطاقات البشرية المعطلة .

اننا نقاسى من تضخم راس المال البشرى وزيادته زيادة هائلة على حاجة البلاد الفعلية وامكانياتها . ولو اننا قد نجحنا حتى الآن فى ايجاد عمل للقادرين على العمل الا ان ذلك كان فى بعض الأحيان على حساب الكفاية الاقتصادية للمشروعات مما ادى الى

خلق بطالة مقنعة ؛ وهذا النجاح لا يمكن أن يستمر طويلا فسنضطر الى أن نقف مشدوهين أمام السيل الجارف من ابنائنا المتطلعين الى العمل .

لقد تفاقمت مشكلة زيادة السكان عندنا فنادى الاقتصاديون والمصلحون الاجتماعيون بضرورة تنظيم النسل . وانى أرى أن هذه الدعوة لا تحل مشكلة قد وقعت فعلا . بل تحاول أن تجد حلا للمشكلة في المستقبل وأن تحد من خطورتها . اننا نقاسى الآن فعلا من الانفجار السكانى ، وليس لهذه المشكلة من حل الا أن تتفجر الارض بآبار الزيت أو نجد سوقا خارجية لفائض رأس المال البشرى أو أن يمن الله علينا بالحسنيين معا .

ان البطالة السافرة والبطالة المقنعة وازدحام الوحدات الاقتصادية والفنية واجهزة الدولة بأفراد لا يستغلون كل طاقاتهم في العمل رأس مال معطل ، بل رأس مال يستهلك اكثر مما ينتج مما يعود على اقتصادنا القومى بالضرر ويجعل أمر التخطيط السليم مستحيلا ؛ لذلك آن لنا أن نفرط في تصدير فائض رأس المال البشرى ، لنحقق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ولنجنى فوائد ما يعيده رأس المال البشرى المعطل عندنا من فائض جهده في الخارج .

وعلى مصر واجبات يحتمها عليها تاريخها الطويل ، فهى اقدم بلاد العالم معرفة بالزراعة واقامة الخزانات والسدود فواجبها حيال أفريقية أن تنهض بعبء زراعة القارة التى عاشت حتى العصر الحديث على الفطرة وأن تمدها بالمهندسين الزراعيين ومهندسى الرى والعمال الزراعيين والبيطريين والاطباء ونحوهم .

في السودان ، وفى الصومال ، وفى الحبشة ، ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والتى تحتاج الى الأيدى العاملة بينما

عندنا طاقات زراعية معطلة ، فلو أمكن تصدير تلك الطاقات الى البلاد التى فى شدة الحاجة اليها ، لحققنا الرخاء لتلك البلاد وجنبنا فوائد رؤوس أموالنا البشرية المستثمرة واسترحنا من طاقات مستهلكة .



سافرنا فى بعثة اقتصادية فى عام ١٩٦١ الى الصومال وقد تم الاتفاق بيننا وبين الحكومة الصومالية على أن نقيم هناك مجزرا وأن ننشيء صناعة السكر وعلى أن نستصلح الأراضي ونزرعها . وفي الصومال أكثر من عشرين مليونا من الأفدنة البكر الصالحة للزراعة وسكانها لا يزيدون على مليون ونصف مليون نسمة ، ولقد اشفقنا على أنفسنا من خوض غمار هذه المغامرة وان أبدت المانيا الغربية فيما بعد استعدادها أن تقيم المجزر وأن تتقاضى ثمنه من أمعاء الحيوانات لصناعة السجق الذى تشتريه المانيا ومن حوافر الذبائح .

ولقد قامت روسيا بانشاء مجزر هناك ، وتقوم الآن الصين الشعبية باستصلاح الأراضى وزراعتها آليا . واعتقد أن هذا لن يثبط همتنا بل على العكس سيدفعنا الى اقتحام هذا الميدان الجديد خاصة وأن الظروف جميعها فى مصلحتنا ، فالعلاقات الاقتصادية بين الصومال ومصر كانت قائمة منذ أقدم العصور ، منذ عهد حتشبسوت . ولغتنا ولغة الصومال واحدة وديننا ودينها واحد مما ييسر الزواج بيننا وبينهم والاندماج فيهم .



ان افريقيا والدول النامية فى آسيا فى حاجة الى أيد خبيرة لزراعة المساحات الشاسعة التى لم تزرع بعد ونحن ولله الحمد من

أول الدول التى عرفت الزراعة فى العالم ، مواجبنا أن ننهض بهذه المسئولية وأن هذه الدول فى حاجة الى أطباء ومهندسين ومحاسبين وزراعيين وفنيين وفى رايى أن الجامعة الأزهرية فى وضعها الجديد أقدر على النهوض بهذا العبء وتزويد تلك البلاد النامية بحاجتها من الخبراء والفنيين ؛ لما للأزهر الشريف من سمعة طيبة فى هذه البلاد . وعلى ذلك ينبغى أن تخطط الجامعة الأزهرية سياستها على تخريج أطباء ومهندسين وتجاريين وزراعيين للعمل فى الخارج تأدية للرسالة العظيمة التى ينبغى أن ننهض بها .

وينبغى على الدولة معاونة الراغبين فى العمل فى الخارج ، ووضع جميع التسهيلات لهم . وقد قامت الدولة فى الآونة الأخيرة بتيسير خروج الراغبين فى العمل الذين قد حصلوا على عقود للعمل ، وهذا عمل مشكور ولكنه ليس كل العمل المطلوب من الدولة ، فمن العسير على العمال الزراعيين أن يبحثوا لأنفسهم عن العمل فى الخارج بل انه من العسير حتى على المثقفين أن ينهضوا بذلك ، لذلك أقترح :

١ ـ انشاء جهاز فى الدولة يقوم بالاتصال بالدول التى تحتاج الى أيدى عاملة وأن ينظم معها ايفاد القوى البشرية المصرية .

٢ ـ انشاء شركات زراعية تختص بالعمل فى الخارج ، يكون لها حق المساهمة مع شركات وطنية فى اصلاح الأراضى وزراعتها .

تصدير الفنون والآداب :

كانت مصر من أهم البلاد المصدرة للمصحف الكريم والكتب الدينية والكتب المدرسية ، ولكن فى السنوات الأخيرة ، نظرا لارتفاع أثمان الورق والطباعة قامت دول لمنافسة جمهورية مصر

العربية فى ميدان طبع المصحف الشريف والكتب الدينية . من هذه الدول اليابان وتطبع وحدها حوالى ١٥ مليون مصحف فى السنة ومنها هونج كونج ومنها اسرائيل للأسف الشديد .

وكانت مصر هى الدولة العربية الأولى فى طبع الكتب المدرسية ولكن قامت مطابع فى لبنان وفى شمال افريقية لطبع تلك الكتب دون استئذان أصحابها وقد ساعد على ذلك نقص الورق وارتفاع أثمانه ولاعادة طبع المصاحف بالجمهورية العربية ، ولضمان عدم وجود أخطاء أو تحريف بها يقترح أن تشجيع اقامة مطبعة ضخمة فى المنطقة الجمركية الحرة لتقوم بطبع المصاحف بعد مراجعتها فى الجهات المختصة وتقوم بطبع الكتب الدينية والكتب المدرسية التى تحتاج اليها كل البلاد الناطقة باللغة العربية .

وتجد الأشرطة السينمائية رواجا فى البلاد العربية والبلاد الآسيويه والافريقية ومن الممكن ان نجد لها سوقا فى كندا وأمريكا الجنوبية وكل البلاد التى بها جاليات عربية .

اننا أقدر الشعوب العربية على مخاطبة العاطفة الدينية فى البلاد الاسلامية ، فلو اهتمت السينما المصرية باخراج افلام دينية فستجد رواجا فى اندونيسيا والباكستان والهند وفى كل بقاع الأرض التى ينتشر بها المسلمون . واذكر اثناء زيارتى لأندونيسيا ان وجدت فيلم « بلال مؤذن الرسول » يعرض هناك وقد علمت أن عرضه استمر ستة أشهر كاملة .

وقد وجدت أسطوانات المطربين والمطربات المصريين منتشرة انتشارا يثلج الصدر فى كل بلاد آسيا ، ولكن هذه الأسطوانات لا تصدر من مصر للأسف الشديد ، بل تطبع فى سنغافورة ولا نستفيد من عائد اسطواناته مطرباتنا ومطربينا .

وان الحديث عن المطربين والمطربات يجرنا الى الحديث عن دورهم فى جلب عملات اجنبية لبلادنا ، ففريق انخنافس قد طاف فى أمريكا وعاد بملايين الدولارات . واظن ان مكانة مطربينا ومطرباتنا فى العالم العربى مكانة مرموقة . فلماذا لا يقوم هؤلاء المطربون والمطربات باحياء حفلات تحت اشراف الدولة لجلب العملات التى نبنى عليها صرح كياننا ؟ .

انى أعتقد أن من الخير أن تقام الحفلات الأولى لأغنيات مطرباتنا ومطربينا فى عاصمة من العواصم العربية المتعطشة لفننا الغنائى من أن تقام هنا فى القاهرة ، فمثل هذا العمل سيزيد رصيدنا من العملات الحرة فى البنوك وسيمكننا من تنفيذ خطط التنمية .

والكتاب الأدبى قادر على أن يكون موردا من موارد العملات الصعبة لو يسرنا له سبل انتشاره وهذا يمكن أن يتأتى باقامة مهرجانات أدبية فى الدول العربية يحضرها كبار كتابنا وأن تباع كتبهم فى هذه المهرجانات وأن تحدد أسعار مرتفعة للكتب التى يوقع عليها كبار كتابنا .

تصدير الرياضة :

انتقال التعصب للأندية الرياضية من جمهورية مصر العربية الى كل البلاد العربية تقريبا ، وأعتقد انه لو أقيمت مباراة الكأس النهائية فى عاصمة من العواصم العربية ، فى الكويت مثلا ، فالايراد الذى سنحصل عليه سيفوق ما سنحصل عليه من ايراد اذا ما أقيمت هذه المباراة بيننا علما بأن ذلك الايراد سيكون بعملة صعبة .

ومن الممكن أن تقام مباريات بين الزمالك والأهلى فى عواصم

اخرى وفى هذا دعاية طيبة لنا واشباع رغبات اخواننا العرب المتعطشين لمثل هذه المباريات وعائد من العملات الأجنبية .

مراكب الفن :

ومن الممكن أن نخصص مركب لعرض منتجاتنا وآثارنا وفنوننا الشعبية وتطوف بموانى الدول الاوروبية ، تنقل اليهم قطعة من وطننا ؛ ومثل هذه المراكب تجد عادة اقبالا من الأجانب ، اذا ما سبقتها دعاية كافية وهى قادرة على أن تغطى مصاريف رحلتها واعادة فائض من العملات الأجنبية .

ومن الممكن أن تحمل هذه المراكب مندوبين وتجاريين يقومون بابرام العقود اثناء عرض منتجاتنا الوطنية .

المكاتب الخارجية :

من الملاحظ تفكك الصلة بين المكاتب التى تنشأ فى الخارج لخدمة نشاط تجارى او سياحى أو ثقافى ؛ ففى مدينة روما مثلا نجد مكتبا لشركة الطيران وآخر للسياحة وثالث للتجارة . لماذا لا ينشأ مكتب واحد قادر لخدمة أوجه نشاطنا المختلفة ، مكتب يليق بنا يقوم بخدمة شركات الطيران والسياحة والتجارة والثقافة ؟ .

اننا لو فعلنا ذلك لخفضنا من تكاليف المكاتب المختلفة ولأقمنا مكتبا يعكس نهضتنا الحديثة بكل معنى الكلمة والأمكننا أن نزوده بمسئول قادر على النهوض بهذه الأعباء التى تعود علينا بالخير فى النهاية .

قوافل الصـــداقة :

الفنون والآداب هي الصلة التي تربطنا بالبلاد العربية ؛ دون ان تشوبها شائبة ، لذلك اقترح ان تعد قوافل الصداقة من المطربين والمطربات والأدباء والفنانين والفرق الشعبية وان تطوف تلك القوافل بالدول العربية تعرض آخر ما انتجناه من افلام ومسرحيات وكتب أدبية وتحيي حفلات غنائية .

استيراد البشر :

انى أشجع كل الوان التصدير ، لأن التصدير معناه جلب عملات وأدعو الى التضييق في الاستيراد . . الى استيراد ما تدعو اليه الضرورة القصوى لأن الاستيراد معناه خروج عمـلات او محاصيل كان من الممكن بيعها والحصول على عملات أجنبية عوضا عنها ، ولا فرق بين أستيراد من كتلة غربيـة او كتلة شرقية . فالاستيراد في كل صوره عبء على الميزانية . وعلى الرغم من ذلك فهناك استيراد واحد احبذه وأدعو اليه وأطلب المزيد منه ، الا وهو استيراد البشر ؛ ففى ورود السياح الى بلادنا دخول لعملات أجنبية نحن فى أشد الحاجة اليها .

ليس أمامنا لنستطيع ان ننفذ خططنا الا ان نصدر ونصدر ونصدر وان نعاون كل العاملين في ميدان التصدير ، فهم يؤدون للبلاد خدمة جليلة ، وانى أدعو ان نفتح أبواب التصدير للجميع لنحقق اهدافنا وان يكون شعارنا : التصدير لمن استطاع اليه سـبيلا .

الفهرست

رقم الايداع ٢٥٩٤

الترقيم الدولي . ـــ ٤٨١ ـــ ٣١٦ ـــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الثمن ١٢٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه